نعـم اللّه
بين الجاحدين والشاكرين

إعـــداد
أ. د/ عادل محمود عبد الخالق
أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعـــة الأزهـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

لقد تناولت في هذه الدراسة بيان مفهوم النعمة في اللغة والاصطلاح مع ذكر أبرز خصائصها ثم بيان مفهوم الجحود لغة واصطلاحًا مع ذكر أبرز أنواع الجحود وصفات الجاحدين وأثر الجحود، وبيان مفهوم الشكر لغة واصطلاحًا وصفات الشاكرين وأثر الشكر، مع ذكر نماذج للجاحدين والشاكرين وقد كشفت هذه الدراسة عما يلي:

أن النعمة كل عطاء أو سلب يقرب من الله تعالى، وأن النعمة كل ما فيه السعادة الدنيوية أو الأخروية أو فيهما معًا، وأن الجحود هو إنكار فضل المتفضل ونعمة المنعم مع العلم واليقين أنها منه، كما كشفت الدراسة أن الجحود له أنواع متعددة، وأن عدم معاونة الرعية للراعي في كل ما يحقق مصالح البلاد والعباد يعد جحودًا من الرعية لحقوق الراعي، وعدم تحقيق الراعي لمصالح البلاد والعباد من الأمن الاجتماعي والسياسي والغذائي ونهضة المجتمع في الجوانب الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية يعد جحودًا من الراعي لحق الرعية.

وأشار البحث إلى أن الإقرار بالفضل لأهل الفضل يعد من باب شكر النعمة، وأبان البحث عن الفرق بين الحمد والشكر، والفرق بين النفي والجحود، وأن الجحود للنعمة من أقوى الأسباب لإزالتها وأن الشكر من العوامل التي تعمل على بقائها.

ومن خلال هذا البحث يوصي الباحث أن يقوم الدعاة بالكشف عن خطر المادية على الواقع الاجتماعي، كما أن عليهم أن يكثروا من بحوث الرقائق ونشرها في الواقع الاجتماعي الذي سيطرت عليه المادية.

أ.د/ عادل محمود عبد الخالق

❁❁❁

Research Summary

I have addressed in this study a statement of the concept of grace in the language and terminology with the most prominent characteristics and then the definition of the concept of arrogance language and terminology with the mention of the most prominent types of arrogance and qualities of atheists and the impact of arrogance. and the statement of thanksgiving language and :terminology and recipes thankful and the impact of thanks. On the following That the grace is all tender or robbery is close to God Almighty. and that all the grace of the earthly or the earthly happiness. or both. and that the arrogance is denying the virtue of virtue and the blessing of knowledge with certainty and certainty of it. and the study revealed that the arrogance has multiple types. The parish of the shepherd in all that serves the interests of the country and the people is a deviation from the parish of the rights of the shepherd. and the failure to achieve the patronage of the interests of the country and the people of social. political and food security and the renaissance of society in the intellectual. political. social. economic and .scientific aspects

The research pointed out that acknowledging the credit to the people of al-Fadl is a matter of thanking the grace. and the search for the difference between praise and thanksgiving. and the difference between negation and ignorance. and that the arrogance of grace is one of the strongest reasons to .remove it and thanks for the factors that work on its survival

Through this research the researcher recommends that the preachers reveal the danger of physical social reality. and they have to increase the research of chips and published in the social reality. which dominated the .physical

Prof. Adel Mahmoud Abdel-Khaliq

مقدمـــــــــة

الحمد لله على نعمة الإسلام، وأصلي وأسلم على خير الأنام، سيدنا محمد عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الأطهار، بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار، وارض اللهم عن أصحابه، ومن اتبع سنته إلى يوم الدين... **أما بعـد**؛؛؛؛

فلقد أنعم الله ﷻ على عباده بالكثير من النعم الظاهرة والباطنة، وتلك النعم تفوق الإحصاء والعد، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]، والناس من هذه النعم ما بين جاحد لها وشاكر، وهذا يجعل العاقل يتأمل في تلك النعم، وفي أحوال الناس وموقفهم من تلك النعم، وكيف تعرف الجاحدين من الشاكرين، وآثار الجحود، وآثار الشكر لتلك النعم، فمن عرف فضل الله ﷻ وقيمة النعمة شكر ربه ﷻ عليها، ومن لم يعرف قيمة النعمة وتنكر لفضل المنعم ـ جل وعلا ـ كان من الجاحدين، ولا ريب أنه لا يخلو زمان ولا مكان من الجاحدين لنعم الله ﷻ والشاكرين لها.

ولهذا البحث أسئلـة:

هناك أسئلة متعددة حاول البحث الإجابة عليها، منها ما يلي:

١ ـ ما النعمة وما حقيقتها؟

٢ ـ ما خصائص النعم؟

٣ ـ هل هناك من الناس من يجحد نعم الله وما الفرق بين نفي النعمة وجحودها؟

٤ ـ هل يمكن تصوير الجحود من خلال الواقع الاجتماعي؟

٥ ـ ما هي الصفات ألو العلامات أو السمات التي يمكن من خلالها معرفة الجاحدين؟

٦ ـ هل للجحود أثر على الجاحدين؟

٧ ـ ما هو الشكر وما الفرق بينه وبين الحمد؟

٨ ـ ما هي أركان الشكر وما آثارهُ؟

٩ ـ وهل للشاكرين صفات أو سمات أو علامات يعرفون بها؟

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية (٣٤).

أهميــة البحــث:

للبحث أهمية حيث يبين هذا البحث ويكشف عن مفهوم الجحود وأنواعه وآثاره ليتجنبه الناس ويكونوا على بصيرة منه، ويكشف البحث عن صفات الجاحدّين، ويبين صفات الشاكرين وآثار الشكر ليكونوا من الشاكرين فينعموا برضا الله ﷻ.

أسبـاب الكتابة في هذا البحــث:

١ ـ تنكر بعض الناس وجحودهم لنعم الله ﷻ.

٢ ـ عدم معرفة بعض طلبة العلم للفرق بين النفي والجحود، وبين الشكر والحمد.

٣ ـ محاولة الكشف عن صفات الجاحدين والشاكرين لنعم الله ﷻ.

الدراسـات السابقــة:

بعد عناء شديد في البحث والتنقيب لم أجد ولم أقف إلا على كتاب لكاتب سوري ألا وهو الدكتور/ محمد عمر الحاجي، باسم (**نعم الله بين الشاكرين والجاحدين**) ط. دار طيبة الدمشقية، سوريا، وبالمقارنة والبحث هناك تباين بين بحثي وتلك الدراسة بنسبة لا تقل عن تسعين بالمائة وتلك خطة الدراسة السابقة.

المقدمة: وتحدث فيها صاحب الكتاب عن وحي التنزيل.

ثم تضمنت تلك الدراسة خمسة أبواب وخاتمة.

الباب الأول: **ومضات من الحديث عن النعم**.

واشتمل هذا الباب على ما يلي:

الفصل الأول: مفهوم النعم.

الفصل الثاني: منة الله على العباد.

الفصل الثالث: بداية النعم.. وتمامها.. من الله وحده.

الباب الثاني: **حقيقة نعم الله سبحانه**.

واشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: إحصاء النعم.. وكثرتها.

الفصل الثاني: معنى قوله تعالى «ويزيدهم من فضله».

الباب الثالث: أنواع النعم.

واشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: الفرح بنعم الله تعالى.

الفصل الثاني: «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» وفيه: أهم أنواع النعم.

أ ـ نعم خاصة. ب ـ نعم عامة.

ج ـ نعم مادية. د ـ نعم روحية.

الباب الرابع: لماذا تزول النعم؟!

وقد اشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: هل تكون النعم ابتلاء.

الفصل الثاني: زوال النعم.

الباب الخامس: أهم طرق المحافظة على النعم.

واشتمل هذا الباب على أربعة فصول:

الفصل الأول: الاستغفار... التوبة... والتقوى.

الفصل الثاني: عدم الإسراف... والتقتير.

الفصل الثالث: الرضى... والتضرع... والشكر.

الفصل الرابع: وضع النعم في مكانها الصحيح.

الخاتمة.

الفرق بين الدراسة السابقة ودراسة هذا البحث:

لقد تفرد هذا البحث عن الدراسة السابقة بما يلي:

١ ـ مفهوم الجحود والفرق بينه وبين النفي.

٢ ـ تحدث البحث عن أبرز أنواع الجحود.

٣ ـ تناول البحث صفات الجاحدين لنعم الله تعالى.

٤ ـ أشار البحث إلى آثار الجحود.

٥ ـ تناول البحث الفرق بين الشكر والحمد.

٦ ـ كشف البحث عن أبز صفات الشاكرين.

٧ ـ بين البحث آثار الشكر على الشاكرين.

٨ ـ تناول البحث نماذج من الجاحدين والشاكرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

منهـــج البحـــث:

١ ـ **المنهج التاريخي الاسترادادي**: وهو المنهج الذي سجل وقائع الماضي وأحداثه ويفسرها على أسس علمية ومنهجية للتوصل إلى الحقائق وفهم الحاضر.

٢ ـ **المنهج الوصفي**: وهو أسلوب بحث علمي لوصف ظاهرة من الظواهر قائمة في الحاضر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها.

٣ ـ **المنهج الاستنباطي**: لاستنباط الحجج والدلائل العقلية من النصوص والروايات.

٤ ـ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها.

٥ ـ كما عزوت الأحاديث النبوية الواردة في البحث إلى مصادر السنة النبوية.

٦ ـ ترجمت للأعلام الذين جاءت أسماؤهم في البحث.

وقد اشتملت خطة البحث على ستة مباحث:

المبحث الأول: **النعمة حقيقتها وأبرز خصائصها**.

المبحث الثاني: **الجحود مفهومه وأنواعه**.

المبحث الثالث: **أبرز صفات الجاحدين لنعم الله ﷻ وأثر الجحود**.

المبحث الرابع: **الشكر مفهومه وآثاره**.

المبحث الخامس: **صفات الشاكرين**.

المبحث السادس: **نماذج من الجاحدين والشاكرين لنعم رب العالمين**.

الخاتمة: **وبها أهم النتائج والتوصيات**.

المبحث الأول

النعمة حقيقتها وأبرز خصائصها

أولًا: مفهوم النعمة في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: حقيقة النعمة.

ثالثًا: أبرز خصائص النعمة في ضوء الإسلام.

* * *

المبحث الأول

النعمة حقيقتها وأبرز خصائصها

المتأمل في واقعه ونفسه يوقن بغرقه في نعم الله ﷻ، ولكن هناك من يعرف قيمة النعمة وفضل المنعم، فيقوم بشكر المنعم، وهناك من يغفل عن فضل المنعم، ولا يعرف قيمة النعمة، فيغفل عن شكر المنعم والنعم، وقد اشتمل هذا المبحث على ما يلي:

أولًا: مفهوم النعمة في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: حقيقة النعمة.

ثالثًا: أبرز خصائص النعمة في ضوء الإسلام.

وبعد هذا الإجمال نفصل القول في مفهوم النعمة وحقيقتها وأبرز خصائصها.

أولًا: مفهوم النعمة في اللغة والاصطلاح:

لا ريب أن من سنن أهل العلم في بحوثهم بيان مفاهيم المصطلحات المتعلقة بالبحث، وبما أن البحث يدور حول النعمة كان علينا أن نبين مفهوم النعمة في اللغة والاصطلاح.

والنعمة في اللغة: بكسر النون الحالةُ الحسنة، وبِنَاءُ النعمةِ بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان، وهي ـ أي النعمة ـ للجنس تطلق على القليل والكثير، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1].

والنَعمة بالفتح معناها التنعم، أي الترف والنعيم، والنُعمى بالضم تطلق على الدعة والمال، وجمع نعمة نَعَمْ وأَنْعُمْ، والنعمة اليد البيضاء ونِعمة الله ـ بالكسر ـ منة الله وعطاؤه للعبد مما لا يمكن لغيره أن يعطيه إياه، كالسمع، والبصر، وسعة النعمة وطيب العيش ورغده، والإنعام هو إيصال الإحسان إلى الغير، ولا يقال: إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين، فلا يقال أنعم على فرسه، وخلاصة القول أن النعمة في اللغة؛ تدل على الحالة التي يستلذها الإنسان ويستطيبها ويتمناها، ومن هذا المنطلق فإنها يراد بها رفاهية

(١) سورة إبراهيم، من الآية (٣٤).

العيش وطيبه ومتعته ورغده وسعته(١).

لقد أشار علماء اللغة إلى المفهوم اللغوي للنعمة، وبينوا أنها الحالة المستلذة للنفس، وربما يقول قائل؛ إن المعاصي فيها ما فيها من لذة رغم المضار التي تلحقها، لهذا التساؤل قيدها البعض بما تحمد عاقبته، وفي ضوء هذا الفهم عرف أحد العلماء النعمة في الاصطلاح بأنها هي (ما قصد به الإحسان لا لغرض أو عوض)(٢).

كما عرفها الإمام/ الألوسي(٣) بأنها: (هي عبارة عن المنفعة المفعولة على وجه الإحسان إلى الغير)(٤).

ومن خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي يتضح أن النعمة هي كل منفعة أو إفادة يقصد بها الإحسان إلى الغير لا لغرض أو عوض بما تحمد عاقبته .

ثانيًا: حقيقة النعمة:

لا ريب أن النعمة فيها ما فيها من منفعة، وفيها ما فيها من السعادة سواء دنُيوَية أو آخروية، أو دنيوية وأخروية معًا، ولكن الأصل أن النعمة التي لا تقرب إلى الله ﷻ تكون في الحقيقة ليست بنعمة، وإن تخيل البعض أنها نعمة، فربما تكون في الحقيقة استدراجًا، وقد تكون ابتلاء وقد يكون الابتلاء نعمة عظيمة، وقد تكون السعادة الدنيوية بلاءً

(١) راجع: لسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٥٧٩ ـ ٥٩٠، ط. دار صادر، بيروت، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ١٥٠٠ ـ ١٥٠٢، ط. الخامسة، ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢/ ٩٤٣، ٩٤٤، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٢) التعريفات، للإمام/ الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ص ٣١١، ط. دار الريان للتراث.

(٣) الإمام/ الألوسي: هو محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي، مفسر ومحدث وأديب من أهل بغداد مولده ووفاته فيها، له مؤلفات عديدة من بينها كتاب: روح المعاني، ولد عام ١٨٠٢م، وتوفى عام ١٨٥٤م، الأعلام، لخير الدين الزركلي، ٧/ ١٧٦، ط. الخامسة عشر، دار العلم للملايين، راجع: معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦، ط. الثالثة، ١٩٨٨م.

(٤) روح المعاني، للإمام/ الألوسي، ٢١/ ٩٣، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

عظيمًا، ولذا تحدث الإمام/ أبو حامد الغزالي[1] عن حقيقة النعمة فقال: (اعلم أن كل خير ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة، فإن ذلك غلط محض، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقًا، ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق، فكل سبب يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها إما بواسطة واحدة وإما بوسائط فإن تسميتهُ نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية)[2].

فالنعمة الحقيقية هي التي توصل إلى أبواب السعادة الأخروية وإلا ليست بنعمة وإن بدا ظاهرها كذلك وهذا ما أشار إليه (أبو حازم)[3] حيث قال: (كل نعمة لا تقرب من اللَّه فهي بلية)[4].

فكثير من أهل العلم يرى أن النعمة الحقيقية هي التي تقرب من اللَّه ﷻ ومن بين هؤلاء أبو حامد الغزالي (فهو يرى أن النعمة آلات يرتقي العبد بها عن أسفل سافلين،

---

(١) أبو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي زين الدين، ولد بطوس === === سنة خمسين وأربعمائة في العام الذي مات فيه الماوردي وأبو الطيب الطبري، كان والده يغزل الصوف ويبيعه لطلب القوت، وكان والده يجالس أهل الفقه ويسأل اللَّه أن يرزقه ابنًا فقيهًا، له مؤلفات عديدة منها: كيماء السعادة، والبسيط والوسيط والوجيز والخلاصة والمستصفى والمخول وللباب وغيرها الكثير، ومن أشهر كتابه: إحياء علوم الدين، توفى سنة خمس وخمسمائة، راجع: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، رقم الترجمة: ٢٩٨، ١/ ١١٦ ـ ١١٧، تحقيق: أيمن نصر الأزهرية، وسيد مهنى، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ٤/ ٩٩، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٣) أبو حازم: هو حماد بن سلمة بن دينار الملقب بالأعرج، شيخ المدينة، ثقة عابد، من أزهد أهل زمانه، تغير حفظه في آخر عمره، توفى سنة ١٦٧هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، ٢/ ٢٧٢، ط. دار العلم للملايين، ط. الخامسة.

(٤) شعب الإيمان، للإمام/ البيهقي، ٣٣ باب: تعدد نعم اللَّه وشكرها، رقم الأثر: ٤٥٣٧، ٤/ ١٢٧، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

خلقها الله لأجل العبد، حتى ينال بها سعادة القرب... وكل ما خلق في الدنيا آلة للعبد ليتوصل بها إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى)(١).

والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ ذم الجاحدين لنعمه لعدم شكرهم وإدراكهم لطبيعة العطاء والمنح الرباني، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾(٢).

يقول ابن كثير(٣): (يقول الله منكرًا على الإنسان.. اعتقاده إذا وسع عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك وإنما هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(٤) وكذلك في الجانب الآخر إذا ما ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال تعالى (كلا) أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله ﷻ في كل من الحالين، إذا كان غنيًا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرًا بأن يصبر)(٥).

والحقيقة أن النعمة كل عطاء أو منع أو ابتلاء رضي به العبد فتحقق رضا الله ﷻ به

---

(١) إحياء علوم الدين، للإمام/ أبي حامد الغزالي، ٤/ ٨٨، مرجع سابق.

(٢) سورة الفجر، الآيتان (١٥، ١٦).

(٣) ابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع البصري الدمشقي الشافعي، ولد بقرية مجدل من أعمال مدينة البصرى بالشام شرقي دمشق سنة ٧٠١ هجرية ـ ١٣٠١ ميلادية، من كتبه: الداية والنهاية، أربعة عشر مجلداً في التاريخ والسير، وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وطبقات الفقهاء الشافعيين، وتفسير القرآن العظيم، والاجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد في ثمان مجلدات.. وغير ذلك من المؤلفات التي سطرها، راجع: البداية والنهاية، مقدمة المجلد الأول، ص (ج د)، للحافظ ابن كثير، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط. دار الحديث، القاهرة، وراجع: الأعلام، للزركلي، ١/ ٣٢٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان (٥٤، ٥٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٥٠٩، ط. مكتبة دار التراث.

عنه، ولكن بعض الناس ينظرن إلى النعمة بصورة غير دقيقة، وغير صحيحة، فيرى النعمة كثرة مال فحسب، وهذا فهم خاطئ لأنه قد يفيض الله ﷻ على بعض الكافرين بالأموال والنعم الوفيرة، فهذا لا ريب إنما يكون من باب الاستدارج، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(١).

والمتأمل لآيات القرآن الكريم يدرك لأول وهلة، الفرق الكبير بين قول الله تعالى: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ وبين قول الله تعالى: ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢) ففي ميزان الإسلام بركات السماوات والأرض لا تعدلها أبواب كل شيء، فإن البركة في العطاء لا ينالها إلا المؤمنون أهل الصلاح والتقوى، أما أبواب كل شيء فقد ينالها الكثيرون دون بركة، وأن نيل الرضا والبركة من أنعم النعم، التي ينعم الله بها على الإنسان.

ثالثًا: أبرز خصائص النعم في ضوء الإسلام:

من ينظر في بعض نعم الله ﷻ ويتأمل فيها يدرك الكثير من خصائصها ومن أهم وأبرز خصائص النعم ما يلي:

١ ـ الله ﷻ مصدر كل نعمة. ٢ ـ نعم الله لا تحصى ولا تعد.

٣ ـ نعم الله ظاهرة وباطنة. ٤ ـ النعمة ابتلاء وتمحيص.

تلك أهم وأبرز خصائص النعم في ضوء الإسلام سبقت مجملة، وإليك تفصيل القول فيها.

١ ـ الله ﷻ مصدر كل نعمة:

هذه حقيقة لا مجال لأحد أن يجادل فيها، فكل نعمة يعيش فيها الإنسان فهي من الله

(١) سورة الأنعام، الآية (٤٤).

(٢) سورة الأعراف، من الآية (٩٦).

سبحانه وتعالى، وهذا ما يؤكده قول الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، يقول الإمام/ الشوكاني[2] في تفسير هذه الآية مؤكدًا هذا المعنى، (وما بكم من نعمة أي أن كل ما لابسكم من النعم على اختلاف أنواعها فمن الله، أي فمنه، فتكون ما شرطية، ويجوز أن تكون موصولة، متضمنة معنى الشرط... وقوله فمن الله هو الخير، وعلى كون ما شرطية يكون فعل الشرط محذوفًا أي ما يكن، والنعمة إما دينية... وإما دنيوية، نفسانية أو بدنية أو خارجية كالسعادة المالية وغيرها، وكل واحدة من هذه جنس تحته أنواع لا حصر لها، والكل من الله سبحانه وتعالى، فعلى العاقل لا يشكر إلا إياه)[3].

ووقف الإمام/ القرطبي[4] من قبل عند هذه الآية قائلًا: (ما في قوله تعالى "وما بكم" بمعنى الجزاء والباء في "بكم" متعلقة بفعل محذوف مضمر تقديره وما يكن بكم من نعمة أي صحة جسم، وسعة رزق، وولد، فمن الله ﷻ وقيل... وما بكم من نعمة

(١) سورة النحل، من الآية (٥٣).

(٢) الإمام/ الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان، نشأت بصنعاء وولي القضاء بها سنة ١٢٢٩هـ، له أكثر ما مائة وأحد عشر مؤلف أشهرها في السنة النبوية، كتاب: نيل الأوطار، وفي التفسير كتابه: فتح القدير، ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٢ هجرية، وتوفى ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠ هجرية، راجع: الأعلام، للزركلي، ٦/ ٢٩٨، ط. الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين،، ومقدمة كتاب: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني، ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) فتح القدير، للإمام/ الشوكاني، ٣/ ٢٠٣، ط. الأولى، الناشر: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

(٤) الإمام/ القرطبي هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله، صاحب التفسير المشهور الذي جاء في خمسة عشر مجلداً تحت اسم (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن) وهو من أجل التفاسير وأعظمها، له عديد من المؤلفات منها: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكار في أفضل الأذكار، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة.. وغير ذلك مما كتب من كتب العلم، توفى ليلة الاثنين التاسع من شهر شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة، راجع: طبقات المفسرين، للداوودي، لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي، ترجمة رقم: ٤٣٤، ٢/ ٦٩ ـ ٧٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

فمن الله هي)[1].

فالحقيقة أن الله سبحانه وتعالى، هو صاحب كل نعمة وواهبها ومعطيها، وهذا إقرار لا يقبل الجدل أو الإنكار، فقد أقر بذلك سيد الخلق كل يوم صباح مساء، ليتحقق كمال العبودية، وتمام الخضوع والاستسلام، والاعتراف للمنعم، وحث أمته على هذا الإقرار والاعتراف بهذا الفضل وتلك النعم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر إلا أدى شكر ذلك اليوم ﴾[2]، وحث رسول الله ﷺ أمته أن يقولوا ذلك في مساءهم حتى يؤدوا شكر ليلتهم.

٢ ـ نعم الله لا تحصى ولا تعد:

لقد أنعم الله ﷻ بكثير من النعم على الإنسان، بل منها ما جاد به ربنا على الإنسان قبل وجوده، بحيث لو حاول الإنسان أن يحصي هذه النعم، فلن يستطيع حصرها ولا عدها، وهذا ما أكده الحق ـ جل وعلا ـ فقال: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

لا يمكن لأي إنسان أن يعد نعمة الله عليه وأن يحصيها عدًا، بأي حال من الأحوال، ولو كانت نعمة واحدة، لأنه لا يستطيع أن يدرك ما في قلب هذه النعمة من نعم[4].

فالله ﷻ أعطى كل إنسان من النعم ما سأله، فقال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا

(١) الجامع لحكام القرآن، للإمام/ القرطبي، ١٠/ ١١٤، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٢) صحيح ابن حبان، رقم الحديث: ٨٦١، ٣/ ١٤٢، ١٤٣، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، قال شعيب الأرنؤوط فيه عبد الله بن عنبسة، وثقه المؤلف وروى عنه اثنان وبقية رجاله ثقات. موارد الظمأن إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي، حديث رقم: ٢٣٦٢، ٧/ ٣٨٩، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، ط/ ١٤١١/ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١/ ١٩٩٢م، وقال: الحديث إسناده حسن.

(٣) سورة إبراهيم، الآية (٣٤).

(٤) راجع: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٣/ ٦٠، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

سَأَلْتُمُوهُ ﴾(١).

بل وأعطاه من النعم ما لم يسأله أيضًا، فلم يسأل الإنسان ربه لا شمسًا ولا قمرًا ولا كثيرًا من النعم التي ابتدأنا الله بها.

فالحقيقة لا يستطيع إنسان على وجه المعمورة أن يحصي نعم الله ﷻ التي أنعمها عليه، وذلك لأن كل نعمة لو تفرس فيها الإنسان لوجد في قلبها نعمًا تجل عن الحصر والإحصاء.

٣ ـ نعم الله ظاهرة وباطنة:

ومن خصائص نعم الله ﷻ غير كثرتها، وعدم انتهائها، أن منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾(٢).

يقول الإمام/ ابن كثير: (يخاطب الله خلقه منبهًا لهم على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأن الله سخر لهم ما في السموات وما في الأرض من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزرع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب به وإزاحة الشبه والعلل)(٣).

كما أن الفخر الرازي وقف عند تفسير هذه الآية ليشير إلى بعض نعم الله الظاهرة والباطنة فقال: (﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً ﴾ وهي ما في الأعضاء من السلامة ﴿وَبَاطِنَةً ﴾ وهي ما في العضو من القوى فإن العضو ظاهر وفيه قوة باطنة، ألا ترى أن العين والأذن شحم وغضروف ظاهر، واللسان والأنف لحم وعظم ظاهر وفي كل واحد معنى باطن من الإبصار، والسمع، والذوق، والشم، وكذلك كل عضو، وقد تبطل القوة

(١) سورة إبراهيم، من الآية (٣٤).

(٢) سورة لقمان، الآية (٢٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٤٥٠.

ويبقى العضو)[1].

يلفت الإمام/ الفخر الرازي نظر الغافلين عن بعض نعم الله الباطنة ليعرفوها، كما أن الإنسان قد يدرك بعض النعم دون البعض، أو يدرك الجانب الظاهري من النعمة ولا يدرك الكثير مما أبطنه الله في تلك النعمة.

٤ ـ النعمة ابتلاء وتمحيص:

قد يظن بعض الناس أن كثرة النعم مظنة القبول والرضا من الله تعالى للعبد، ويظنون أن تلك النعم لا تساق لإنسان إلا لطاعته وقربه، وهذا لا ريب يكون في بعض الأحوال، وليست في كلها، فقد يسوق الله النعمة إلى عبده ابتلاء وتمحيصًا، فكما أن الله ﷻ يبتلي عبدًا بالتضيق عليه في الرزق، أو في أي نعمة، فيصبر أم لا؟، وقد يبتلي آخر بكثرة النعم، فهل يشكر أم لا؟ فقد يخطئ من يظن أن الله ضيق عليه أو على فلان لمهانته، ووسع وأنعم عليه أو على فلان لكرامته.

فالحقيقة إن (قيمة العبد لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا "فالله" يعطي الصالح والطالح ويمنع الصالح والطالح... إنه يعطي ليبتلي، ويمنع ليبتلي، والمعول عليه نتيجة الابتلاء)[2].

وقد أكد هذا المعنى الإمام/ الزمخشري فقال: (فإن قلت كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء؟ قلت: لأن كل واحد منهما اختبار للعبد، فإن بسط له الرزق اختبر حاله أيشكر أم يكفر، وإذا قدر عليه رزقه فقد اختبر أيصبر أم يجزع فالحكمة فيها واحدة)[3].

فالله قد يضيق على المؤمن لا لهوانه وإنما لاختباره، وقد يوسع على الكافر لا لكرامته

---

(١) مفاتيح الغيب، للإمام/ فخر الدين الرازي، ٢٥/ ١٢٤، دار إحياء التراث العربي، ط. الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٩٠٥، دار الشروق، ١٩٩٢م.

(٣) الكشاف، للإمام/ الزمخشري، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، ٤/ ٢٥١، ط. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

بل استدراجًا له، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾(١).

ولذا كان على العبد المؤمن أن يرضى بما قسم الله له ليكون أغنى الناس، ولا ريب أن الرضا لون من ألوان الشكر لله ﷻ، كما أن عليه أن يؤدي شكر ما أنعم الله به عليه بالقول والعمل.

تلك أبرز خصائص النعم..

❁ ❁ ❁

(١) سورة الأنبياء، الآية (٣٥).

المبحــث الثانــي

الجحــود مفهومــه وأنواعــه

أولًا: مفهوم الجحود لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: الفرق بين النفي والجحـود.

ثالثًا: أبرز أنواع الجحود من خلال الواقع الاجتماعي.

المبحث الثاني

الجحـود مفهومه وأنواعــه

يتردد بين كثير من أهل العلم والمعرفة وغيرهم أن فلانًا لنعم الله من الجاحدين، فما هو مفهوم الجحود، وما الفرق بين الجحود والنفي؟

أولًا: مفهـوم الجحود لغة واصطلاحًـا:

كثير من الناس غارقون في نعم ربهم، وهم لها من الجاحدين، ولم يكونوا لربهم من الشاكرين، ولاشك أن الجحود من الصفات المرزولة، التي ينبغي على الإنسان أن يترفع عنها.

والجحود في اللغة: مصدر تقول جحد يجحد جحدًا وجحودًا هو من مادة (ج. ح. د) التي تدل على القلة: يقال عام جحد، أي قليل المطر، والجحد من كل شيء القلة، ولقد أشار الإمام/ الشيباني[1] إلى مفهوم الجحود وبين أنه من الجحد بمعنى انتقاص المال وذهابه، فقال: (اجحد الرجل جحودًا وجحدًا إذا انفض ماله وذهب... ومن هذا الباب الجحود، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به.. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ

(١) هو إبراهيم بن محمد الشيباني أبو اليسر، ويعرف بالرياضي الكاتب، أصله من بغداد واستقر في القيروان فترأس ديوان الإنشاء لبني الأغلب ثم للفاطميين، ولد سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م، وكانت وفاته ٢٩٨هـ/ ٩١١م له العديد من المؤلفات منها: معاني القرآن وإعرابه، ومسند الحديث، وقطب الأدب وسراج الهدى، ولفظ المرجان في الأدب، راجع: الأعلام، للزركلي، ١/ ٦٠، مرجع سابق.

ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(١)»(٢).

ثم يواصل قوله فيقول: (ما جاء جاحد بخير قط)(٣).

ويقول صاحب لسان العرب: (الجحود من جحد والجحد والجحود نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة، تقول: جحده يجحده جحدًا وجحودًا.. يقول الجوهري: الجحود الإنكار مع العلم... والجَحْدُ والجحد بالضم والجحود قلة الخير)(٤).

فالجحود (لا يكون إلا على علم الجاحد به)(٥).

ويتضح من أقوال علماء اللغة أن الجحود هو إنكار الشيء أو النعمة مع العلم والمعرفة بوجوده.

كما تناول العلماء المفهوم الاصطلاحي للجحود فعرفه الراغب الأصفهاني فقال: (هو نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه)(٦).

وتحدث الإمام/ المناوي(٧) عن المفهوم الاصطلاحي للجحود فقال: (هو إنكار ما سبق له وجود وهو خلاف النفي)(٨).

ويمكن القول أن الجحود في الاصطلاح هو إنكار فضل المتفضل ونعمة المنعم مع العلم واليقين بأنها منه.

---

(١) سورة النمل، من الآية (١٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٤٢٥، الناشر: دار الفكر.

(٣) المصدر السابق، ١/ ٤٢٦.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٣/ ١٠٦، ط. الثالثة، دار صادر، بيروت.

(٥) معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ١/ ٤٢٦، الناشر: دار الفكر.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ١/ ١٢١، الناشر: عالم الكتب، ط. الأولى.

(٧) المناوي هو: زين العابدين بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري، له العديد من المؤلفات منها: شرح الثانية، لابن الفارض، وشرح المشاهد، لابن عربي، وشرح الأزهرية، وفاته كانت بالقاهرة، راجع: الأعلام، للزركلي، ٣/ ٦٥.

(٨) المصدر السابق، ١/ ١٢١.

ثانيًا: الفـرق بين النفي والجحـود:

تناول العلماء الفرق بين النفي والجحود، فبينوا أن الجحود مختص بالماضي، والنفي عام يشمل الماضي والحاضر، والجحود يقال فيما يذكر باللسان دون القلب، والنفي يقال فيهما، والنافي إذا كان كلامه صادقًا يسمى كلامه نفيًا، ولا يسمى جحدًا، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١) فهذا نفي، وإن كان كاذبًا يسمى جحدًا كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(٢)(٣).

وبهذا يتضح الفرق بين النفي والجحود.

ثالثًا: أبرز أنواع الجحود من خلال الواقع الاجتماعـي:

المتأمل في الواقع الاجتماعي يقف على أنواع الجحود في الواقع الاجتماعي وأهمها وأبرزها ما يلي:

١ ـ جحود الإنسان لنعم ربه.

٢ ـ جحود فضل رسول الله ﷺ.

٣ ـ جحود الرعية لحق الراعي.

٤ ـ جحود الراعي لحق الرعيـة.

٥ ـ جحود الأبناء لفضل الآباء والأمهات.

٦ ـ جحود الآباء والأمهات لحقوق الأبناء.

٧ ـ جحود ذوي القربى لفضل القريب.

٨ ـ جحود التلميذ لفضل أستاذه (شيخه).

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية (٤٠).

(٢) سورة النمل، من الآية (١٤).

(٣) موسوعة نضرة النعيم، لمجموعة من المتخصصين، ٩/ ٤٣٢٦، ط. دار الوسيلة للنشر، وراجع: التعريفات، للجرجاني، ص ١٠١.

٩ ـ جحود المرأة لفضل زوجها.

١٠ ـ جحود الرجل لفضل زوجته.

هذه أهم وأبرز أنواع الجحود، نفصل القول فيها فيما يلي:

١ ـ جحود الإنسان لنعم ربه:

لقد أنعم الله ﷻ على الإنسان بالكثير من النعم، وغرق فيها منذ كان نطفة في بطن أمه إلى اللحظة التي يعيشها ونعم الله تتوالى عليه، وكان على الإنسان أن يقابل تلك النعم بالشكر للمنعم والاعتراف له بالفضل .

ولكن الكثير من بني الإنسان لم يشكر الله على تلك النعم، قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾(١).

بل والكثير من بني الإنسان جحد نعم الله ﷻ وهذا ما أشار إليه الحق ـ جل وعلا ـ مؤكدًا هذا بالقسم ولا أحد أصدق من الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾(٢).

رغم أن الحق صادق، ولا يحتاج إلى قسم لإثبات حقيقة ما، ومع ذلك كان منه ذلك ليكشف عن هذه الحقيقة وهو جحود الكثير من بني الإنسان لنعم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾(٣).

قال ابن عباس ﷺ: (لكنود أي لكفور جحود لنعم الله)(٤).

ويقول الأستاذ/ سيد قطب: (إن الإنسان ليجحد نعم ربه، وينكر جزيل فضله، ويتمثل جحوده في مظاهر شتى تبدوا منه أقوالًا وأفعالًا فتقوم عليه مقام الشاهد الذي يقرر الحقيقة، وكأنه يشهد على نفسه بها أو لعله يشهد على نفسه يوم القيامة بالكنود

(١) سورة سبأ، من الآية (١٣).

(٢) سورة النساء، من الآية (٨٧).

(٣) سورة العاديات، الآيات (١ ـ ٦).

(٤) الجامع لحكام القرآن، للإمام/ القرطبي، ٢٠/ ١٦٠، مرجع سابق.

والجحود ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾[1]، يوم ينطق بالحق على نفسه حيث لا جدال ولا محال... وهذه فطرته وهذا طبعه ما لم يخالط الإيمان قلبه فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته)[2].

وبهذا يظهر أن من أنواع الجحود جحود الإنسان لنعم ربه ـ جل وعلا ـ وهو أرزل أنواع الجحود، ولذا صدرت أنواع الجحود به.

٢ ـ جحود فضل رسول الله ﷺ:

لقد أرسل الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ ليبلغ رسالة ربه ولينقذ البشرية من وهدة الظلال إلى نور الإيمان، فعليهم أن يتبعوه ويعظموه ويوقروه، يقول الشيخ/ أبو بكر الجزائري: (أرسل الله تعالى رسوله ﷺ مبشرًا ونذيرًا... ليؤمن الناس به تعالى وبرسوله ويعزروا الرسول أي ينصروه ويوقروه أن يجلوه ويعظموه بما يليق بمنصبه ومقامه السامي الشريف، ومعنى توقيره ﷺ تعظيمه وإجلاله والإكبار من شأنه والرفع من قدره حتى لا يدانيه أحد من الناس، وكون أصحابه قد عرفوا قدره فأجلوه وعزروه ووقروه فليس ذلك عائد لكونه فيهم، وبينهم فحسب بل هو لما أوجبه الله تعالى عليهم وأفاضه في نفوسهم وأجراه على ألسنتهم من حبه وتقديره وإجلاله وتعظيمه)[3].

لقد جاهد رسول الله ﷺ في تبليغ هذا الدين، وعمل على إنقاذ الناس من وهدة الضلال إلى نور الإيمان وآثار رضا الله ﷻ والدار الآخرة، على متاع الحياة الدنيا، وأبى أن يترك تبليغ هذا الدين مقابل متاع الحياة الدنيا حتى لو وضعت الشمس في يمينه والقمر في يساره، كما أوذي في سبيل هذا الدين ليبلغه لنا ونرى في واقعنا جحودًا من بعض الناس ويتمثل هذا الجحود تارة في عدم الاتباع له ﷺ والاقتفاء لأثره، وتارة في الإساءة إلى ذاته الكريمة ﷺ ولا أدل على ذلك من الرسوم المسيئة التي حاول من حاول

(١) سورة العاديات، الآية (٧).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٩٥٨، مرجع سابق.

(٣) هذا الحبيب يا محب، أبو بكر الجزائري، ص ٤٤٠، ط. الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار السلام.

بها الإساءة إلى ذات رسول الله ﷺ وأيضًا من الناس من كتب كتاب عصمة الوحي وخطايا الأنبياء[1] وأساءوا فيه إلى ذات رسول الله ﷺ وصوره تارة بأنه رجل شهواني، وتارة عدواني، وتارة وتارة، ومن أنكى أنواع الجحود أن نرى من يتطاول على سيدنا محمد ﷺ على القنوات الفضائية ويقول من (محمد) فقير لم يجد طعام يومه، أهذا يقال في حق أفضل الأنبياء والرسل؟ أهذا يقال في حق من أبى أن تكون له جبال مكة ذهبًا وفضة؟ أهذا يقال في حق من فضله الله على العالمين؟ إنه الجحود لفضل إمام الأنبياء والمرسلين.

٣ ـ جحود الرعية لحق الراعي:

للراعي حقوق كثيرة على الرعية من أهمها وأبرزها السمع والطاعة فيما يأمر به ما لم يأمر بمعصية الله ﷻ وهذا مما أوجبه الله ﷻ على الرعية للراعي فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[2].

فالراعي تجت طاعته، وتمرد الرعية على الراعي ـ ما لم يأمر بمعصية ـ يعد جحودًا من الرعية لحقوق الراعي، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك، ومكرهك، وأثره عليك ﴾[3].

يقول الإمام/ النووي: (وهذه الأحاديث في الحق على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة المسلمين، والأثرة الاختصاص بأمور الدنيا عليكم)[4].

وعدم نصح الرعية للراعي في كل ما يخص التعاون معه في كل ما يحقق التقدم والازدهار في جميع المجالات الداخلية والخارجية، والجهاد بالمال والنفس، وزيادة

(١) هذا الكتاب درسته في الدراسات العليا في مادة الأديان على يد الأستاذ الدكتور/ محمود حماية.

(٢) سورة النساء، من الآية (٥٩).

(٣) صحيح الإمام/ مسلم، ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ٨ ـ باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم: ١٨٣٦، ٣/ ١٤٦٧، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) صحيح الإمام/ مسلم بشرح النووي، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ٤/ ٥٠٣، ط. دار الشعب.

العمران، وتحقيق النهضة الصناعية والزراعية والاجتماعية والأخلاقية وإقامة المجتمع الخيري وتنفيذ القوانين والأحكام الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء فيما يمس المصلحة العامة أو الخاصة، وتقديم النصيحة وبذل الجهد بتقديم الأفكار الجديدة التي تؤدي إلى التقدم والازدهار والنهضة، فكل من عنده فكر يفيد به ولي الأمر، ولم يقدمه يعد جاحدًا لحق الراعي، فعدم إعانة الرعية للراعي ـ كل فيما يخصه ويكن أهلًا له ـ فيما يؤدي إلى منفعة البلاد والعباد وعدم التعاون معه يعد جحودًا لحقه عليهم(١).

لذا كان على الرعية طاعة الراعي والتعاون معه فكل ما يعمل على حماية العباد والبلاد والنهضة بها في جميع الميادين ومن يتقاعس عن ذلك يعد جاحدًا لحق الراعي.

٤ ـ جحود الراعي لحق الرعيـة:

لا غنى لأي مجتمع عن راع يرعى شؤونه ومصالحه، ويعمل على ما يحقق الخير للبلاد والعباد، وذلك باستخدام كل الوسائل والسبل التي تحقق الأمن الاجتماعي والسياسي والغذائي، والنهضة الزراعية والاقتصادية والاجتماعية حتى يصبح المجتمع مواكبًا لسائر المجتمعات من حوله، وأن يسوس الراعي رعيته سياسة عادلة، فالسياسة العدالة (لا يمكن أن تكون مخالفة للشريعة ولا لأصل من أصولها، فحيث تكون العدالة يكون الشرع، لأنها جزء منه، ولذلك كان العدل بمثابة الغاية العامة أو غاية الغايات من الحكم الإسلامي، وكان بمثابة الميزان الدقيق الذي يقيس نبض الأمة)(٢).

فإن الحاكم إذا قام بتحقيق العدل (فيما يتعلق بما للناس من حقوق في أموالهم أو حقوق مرتبة على أعمالهم، فإن ذلك يشعر الرعية بالاطمئنان ويحفزهم على الإقبال على العمل والجد فيه، فينتج ذلك العمران واتساعه وتوجد الأموال وتكثر الخيرات

(١) راجع: النظام السياسي، د/ أحمد غلوش، ص ٢٤٨، ط. الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م، مؤسسة الرسالة.

(٢) المدخل لدراسة النظم الإسلامي، د/ سلمان سلامة عبد الملك، ص ٢٥٨، ط. الأولى، مطبعة الأمانة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

وهذا يؤدي بدوره إلى تقوية الدولة وبقاء الحكم فيها واستمراره)[1].

ولكن إذا أهمل أو قصر أو تهاون الراعي في شئون الرعية ومصالحهم، وتقاعس عن تحقيق مصالح العباد والبلاد والأمن الاجتماعي والسياسي والغذائي، ولم يسع إلى تحقيق نهضة المجتمع في شتى جوانب الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية فلا ريب أن هذا الراعي لا يستحق تلك المكانة ويعد جاحدًا لحقوق الرعية وهو مسئول عن ذلك يوم القيامة لقول الرسول ﷺ: ﴿ كل راع وكل راع مسئول عن رعيته ﴾[2].

فعدم قيام الراعي بما ينبغي أن يقوم به نحو مجتمعه ورعيته أو الإهمال أو التفريط فيما يحقق مصالح العباد والبلاد يعد جحودًا منه لحقوق رعيته.

٥ ـ جحود الأبناء لفضل الآباء والأمهات:

أوجب الله على الأبناء بر الوالدين والإحسان إليهما فقال: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[4].

ويلاحظ أن البر بالوالدين والإحسان إليهما جاء بعد وجوب عبادته سبحانه وتعالى لأنه لا يوجد إنعام بعد إنعام الله ﷻ أعظم من إنعام الوالدين على الولد، يقول الشيخ/ حسن أيوب: (حق الآباء والأمهات على الأبناء لا يستطيع إنسان أن يحصيه، أو يقدره، لو استطاع الأبناء إحصاء ما لاقاه الآباء والأمهات في سبيلهم، لاستطاعوا إحصاء ما يستحقونه من البر والتكريم)[5].

فالإسلام أوجب على الأبناء بر الآباء والأمهات، ونبه على الأبناء على مراعاة شعور

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٢) مسند الإمام أحمد، ١٠/ ١١٠، ط. الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.

(٣) سورة الإسراء، من الآية (٢٣).

(٤) سورة النساء، من الآية (٣٦).

(٥) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٢٤٦، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الوالدين، فحقهما ليس كحق أحد من الناس، فإن أي كلمة أو إشارة تفيد التضجر منهما تعد معصية، ولو كانت كلمة أف، كما أن السنة النبوية زاخرة بالأحاديث التي يوصي فيها رسول الله ﷺ الأبناء بالبر والإحسان إلى الوالدين، من بينها ما رواه سيدنا أبو هريرة فقال: ﴿ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، ثم قال من، قال: أمك، قال ثم من، قال: أمك قال ثم من، قال: أبوك ﴾(١).

ومع هذه الأوامر الإلهية، والتعاليم النبوية، التي توجب بر الوالدين، لوحظ في الواقع الاجتماعي أن من الأبناء من يجحد حق أبويه، وقسى قلبه عليهما، لتحجر ضميره، فتارة يصانع الناس بلين الكلام، ويختار الحجار الكلامية لأبيه وأمه، ويبش في وجوه الناس، ويعبس في وجه أبويه، وينظر إليهما بعين الجحود، ويتصرف تصرف الوحش المفترس، له مخالب ينهب بهما ما يملكان ولو قوت يومهما وله أنياب ينهش بهما في جسم أبيه وأمه(٢).

والواقع يشهد أن جحود الأبناء لحقوق الوالدين زاد في هذا الزمان، فلم يتوقف جحود الأبناء لحقوق الوالدين عند هذا الحد الذي أشار إليه الشيخ/ حسن أيوب، بل رأيت بأم عيني، من أحجم عن الإنفاق على والدين، رغم قدرته وهم في أشد الحاجة، بل وأودع أبويه في دار المسنين ـ قبر الحياة ـ قبل أن يأتيهم قطار الموت، ومنهم من رأيناه يسوق والده سوق الحيوان وهو يقول لوالده سأجعلك عبرة لأهل الحي فيقول الأب لا يا ولدي! لا تجعلني عبرة لأهل الحي ولكن أقول لأهل الحي انظروا كيف يربي الابن اباه(٣).

٦ ـ جحود الآباء والأمهات لحقوق الأبنـاء:

جعل الإسلام للأبناء حقوقًا على الآباء والأمهات، وهذه الحقوق ينبغي على الآباء

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: بر الوالدين، ٤/ ١٩٧٤، حديث رقم: ٢٥٤٨، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٢٤٨.

(٣) الواقعة رأيتها بأم عيني في شارع ١٤ عزبة خليل، المعصرة، حلوان، سنة ١٩٨٨، في شهر واحد.

والأمهات الوفاء بها تجاه الأبناء، والكثير من الآباء والأمهات يوقن بهذه الحقوق لفهمهم لتعاليم دينهم، أو بدافع الفطرة السلمية، فحق للأبناء على الآباء رعايتهم، وحسن تربيتهم، والنفقة عليهم وتعليمهم... وغير ذلك من أنواع الحقوق والرعاية التي بينها الإسلام، ولكن هناك بعض الآباء والأمهات يجحدونها لعدم فهمهم الكامل لتعاليم الإسلام.... أو بسبب فطرتهم المنكوسة، فأهدروا الكثير من حقوق أبنائهم، حيث لوحظ في واقع الحياة أن من الآباء من يقتر على أولاده ويبخل عليهم ولا يرعاهم، في حين أنه ينفق الكثير من المال على نزواته وشهواته، ولا ريب أن هذا جحود لحق الأبناء، وترى نموذجًا آخر يصرف الكثير من وقته بين أصحابه وأصدقائه دون أن يجلس مع أبنائه ليعلمهم أمور دينهم، وما ينفعهم في الواقع الاجتماعي فيمهد ذلك لوقوع الأبناء في شراك الانحراف، لعدم وجود حصانة دينية أو تربوية، تقيهم السقوط في شراك الانحراف، وكل هذا وغيره سببه جحود الآباء والأمهات لحقوق الأبناء، فعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ كفى بالمرء إثمًا أن يضع من يقوت ﴾(١).

وعن الحسن عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن الله سأل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته ﴾(٢).

فكثير من الآباء والأمهات في وسط معترك هذه الحياة المعاصرة وملهياتها ضيعوا الكثير من حقوق أبنائهم ولا ريب أن هذا يعد جحودًا من الآباء والأمهات لحقوق أبنائهم.

٧ ـ جحود فضل ذوي القربى لفضل القريب:

لقد أوصى الله ﷻ بذي القربى فقال: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا

(١) مسند الإمام/ أحمد، للإمام/ أحمد، ١١/ ٣٦، مرجع سابق.

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين الهيثمي، تحقيق: محمد عبد الرحمن حمزة، ١١ ـ باب: ما جاء في الأمراء، ٥/ ١٣٠، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) سورة النساء، من الآية (٣٦).

﴿ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، والنبي ﷺ حث على صلة الأرحام فقال سيدنا أنس ﷺ إن رسول الله قال: ﴿ من أحب أن يوسع الله عليه في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ﴾[2].

وترى في الواقع الاجتماعي من يقرأ هذه الآيات ويعلم تلك الأحاديث فيطبقها ويعمل بها التزامًا بكتاب الله ﷻ وعملًا بسنة رسول الله ﷺ ولكن أقاربه يقابلون هذا الإحسان بالإساءة، والعطاء بالجحود فيشق عليه ذلك، فالجحود من أسوء الخصال في هذه الحياة، ومن أشد الخصال التي تؤلم المشاعر فهو بلا ريب يؤدي إلى خطف الطيبة من القلوب، والبراءة من النفوس، فمن الآلام النفسية أن تعطى ويقابل هذا العطاء بالجفاء والجحود والنكران، وتحسن ويقابل هذا الإحسان بالإساءة، وهؤلاء ومن على شاكلهم انتهازيون يرون أن هذا ذكاء منهم، ولكن الحياة علمتنا أن الانتهازيين يربحون على أمد قصير ويخسرون أمدًا بعيدًا، ولكن عدالة الله ﷻ ستكشف لنا ـ ولو بعد حين ـ كم كانوا أشقاء والرابحون هم أهل العطاء، يربحون رضا ربهم والرضا عن ذاتهم، وراحة ضميرهم، وهذان الصنفان أشار إليهم الحديث الذي رواه سيدنا أبو هريرة ﷺ: ﴿ أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت كما قلت فإنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك ﴾[3].

وهناك جحود من لون آخر من لا يعرف لأرحامه حقًا ولا صلة ولا واجبًا ولا يزورهم ولا يكلمهم ولا يشاركهم في أفراحهم ولا أتراحهم ولاشك أن هذا جحود لحق الأقرباء وهذا مما ينكره الله ﷻ فيقول في شأن هؤلاء: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٢٦).

(٢) صحيح مسلم ٤٥ ـ كتاب: البر والصلة، ٦ ـ باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) صحيح الإمام/ مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: صلة الرحم، ٤/ ١٩٨٢، حديث رقم: ٢٥٥٨.

(٤) سورة محمد، الآيتان (٢٢، ٢٣).

ولا ريب أن كلا اللونين سواء تقصير القريب في حق قريبه، أو استغلال القريب لقريبه وانتهازه وجحود عطاءه كل هذا يعد جحودًا لحقوق الأقرباء.

٨ ـ جحود التلميذ لفضل أستاذه (شيخه):

لطالب العلم آداب يجب أن يتحلى بها، حتى يستطيع الانتفاع بعلم شيخه، ويتفانى معلمه في تعليمه (فعلى طالب العلم أن يتواضع لمعلمه... ويخضع لنصيحته، ويطلب رضاه بخدمته، والإسراع لمساعدته، وبذل كل جهد في تقديره واحترامه وإجلاله)(١).

ويصور لنا موقف عبد الله بن عباس مع زيد بن ثابت ﷺ ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم مع معلمه، يقول الشعبي(٢): (صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء (ابن عباس) فأخذ بركابه، فقال زيد بن ثابت خَل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد بن ثابت: أرني يدك فأخرج يده فقبلها سيدنا زيد وقال وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا)(٣).

وليتأمل طالب العلم كيف كان حال طالب العلم مع شيخه أيام سلفنا الصالح، يقول صالح ابن الإمام/ أحمد بن حنبل: (لقيني يحيى بن معين فقال: أما يستحي أبوك مما يفعل؟ فقلت: وما يفعل؟ قال: رايته مع الشافعي، والشافعي راكب، وهو راجل آخذ بزمام دابته، فقلت لأبي ذلك، فقال: إن لقيته فقل: يقول لك أبي إذا أردت أن تتفقه فتعال

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٤٤٧.

(٢) الشعبي هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار وذو كبار، قيل من أقيال اليمن، اختلف في تاريخ مولد، ورجح البعض أنه ولد لست سنين خلت من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، وسمع من عدة من كبراء الصحابة وحدث عن كل من: علي بن أبي طالب، والحسن والحسيني بن علي، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأسامة بن زيد.. وغيرهم، توفى وهو ابن سبع وسبعين سنة، كما أختلف في تاريخ وفاته، راجع: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ١٤/ ١٤٣، ترجمة رقم: ٦٦٣٣، تحقيق: بشار عواد معروف، ط. الأولى، ٢٠٠٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، رجال صحيح ملم، لأحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن منجويه، المحقق: عبد الله الليثين، ٢/ ٨٤، ترجمة رقم: ١٢١٤، ط. الأولى، دار المعرفة، بيروت.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ص ٢٠٣، ط. الثانية، ط. دار الكتب الإسلامية.

فخذ بركابه من الجانب الآخر)[1].

ولكن في زماننا هذا جحد بعض طلبة العلم فضل شيوخهم (فتجرؤا عليهم ولم يعرفوا قدرهم ومكانتهم، وأساءوا معاملتهم، وتوقحوا مع شيوخهم وعاملوهم معاملة قاسية نابية بعيدة عن الأدب وحسن التربية)[2].

لا ريب أن هذا تصوير لواقع بعض تلاميذ أهل العلم مع شيوخهم حيث جحد بعض طلبة العلم حقوق الكثير من معلميهم وشيوخهم، وهذا ما يرفضه الإسلام، بل حث الإسلام طلبة العلم على أن يعرفوا قدر شيوخهم، وأن يقروا لهم بالفضل وأن يقدروهم، وأن يحسنوا معاملاتهم، فحينما يفعل التلميذ مع شيخه ذلك ستدفعه تلك المعاملة أن يمنح الشيخ تلميذه مفاتيح مغاليق أبواب العلم، ولا يتوانى الشيخ في نصح تلميذه.

٩ ـ جحود المرأة لفضل زوجها:

الزوج هو أعظم الناس حقًا على زوجته، ومكانته بالنسبة للزوجة تفوق مكانة أي أحد من أهلها فقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ﴿ من أعظم الناس حقًا على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: من أعظم الناس حقًا على الرجل، قال: أمه ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها ﴾[4].

فطاعة المرأة لزوجها واجبة ما لم يأمرها بمعصية، يقول الشيخ/ حسن أيوب: (جعل الله الرجل قوامًا على المرأة رئيسًا لها فطاعة المرأة لزوجها واجبة عليها، وعصيان

---

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبو حنيفة، لابن عبد البر، ١/ ٧٥، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٤٤٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ٤/ ١٥٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، والحديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) السنن الصغير، للإمام/ البيهقي، ٣/ ٩٢، ٤٧ باب: حق الزوج على المرأة، حديث رقم: ٢٥٩٨، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، دار الوفاء، المنصورة.

زوجها محرم عليها، وتعذب عليه في الدنيا والآخرة، إذا لم ترجع عنه، وتعتذر لزوجها حتى يسامحها، وحالة الزوجة مع زوجها كحالة الولد مع أبيه، بل حق زوجها أكبر بنص (الحديث السابق الذي رواه سيدنا أبو هريرة) والمرأة الصالحة تدرك ذلك وتعيه وعيًا تامًا وتخشى الله في زوجها، وتراقب الله سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة مخافة أن يغضب عليها زوجها)(١).

ومع كل ما جاء به الإسلام من تعاليم وبيان لحقوق الزوج على زوجته ترى كثيرات من النساء من تجحد حقوق زوجها فلا تطيعه إذا أمر، ولا تسره إذا نظر، ولا تبره إذا أقسم، كما يراها زوجها رثة الثياب، كثيرة العتاب، برائحة لا تطاق، تعين الزمان على زوجها، ليس في قلبها عليه رأفة ولا رحمة منتفخة الوريد، كلامها وعيد، صوتها عالٍ شديد ولا ريب أن كل هذا يعد جحودًا من المرأة لحق زوجها الذي يجب عليها طاعته بعد طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ.

١٠ـ جحود الزوج لفضل زوجتــه:

لقد جعل الإسلام لكل من الزوجين حقوقًا على الآخر، وبقدر ما يكون الالتزام بالحقوق بقدر ما تكون السعادة الزوجية، واستقرار الأسرة، فقد جعل الله للزوجة حقوقًا على زوجها، ولكن من الأزواج من يتنكر لهذه الحقوق ويجحدها، ويرى أن الزوجة ما هي إلا خادمة، وعليها أن تطيع أمر سيدها، ونسي هذا الزوج أن الزوجة ليست في مقام الرق، وإنما هي في مقام الزوجية، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾(٢).

بل من الرجال من يجحد حقوق زوجته ولا يرى لها فضلًا مما تقوم به من تربية الأولاد ونظافة البيت وتنظيمه، وإعداد الطعام وغسل الثياب، وكل هذا كان ينبغي أن يقابل ـ من بعض الأزواج الجاحدين لحقوق زوجاتهم ـ بحسن العشرة كما أمر ربنا ـ جل

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٢٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

وعلا ـ قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1].

ومن جحود الزوج لحق زوجته عدم الاهتمام بزينته وتنظيف نفسه وإزالة عرقه وتغيير الروائح الكريهة بروائح طيبة، وعدم تقليم أظافره، وعدم لبسه للملابس المناسبة وعدم دهنه لشعره وترجيله لشعره[2].

ومن جحود الرجل لحق زوجته العبوس في وجه زوجته بلا ذنب، ومن جحود الرجل لحق زوجته البخل عليها وعلى أولادها، فمن الواجب على الزوج الإنفاق عليها وعلى أولادها فهو ـ أي الإنفاق عليها وعلى أولادها ـ من أفضل الصدقات، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال يا رسول الله ﷺ: ﴿ دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك ﴾[3].

فبخل الرجل على زوجه يعد جحودًا وما أكثر جحود الأزواج لحقوق زوجاتهن في هذا الزمان، حيث يرى بعض الرجال أن الزوجة خادمة فحسب، وعليها أن تطيع سيدها دون النظر لأي حق شرعه الله لها.

❁❁❁

(١) سورة النساء، من الآية (١٩).

(٢) راجع: السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٢٠٤.

(٣) صحيح الإمام/ مسلم، كتاب الزكاة، باب: فضل: النفقة على العيال، ٢/ ٦٩٢، حديث رقم: ٩٩٥، ط. دار إحياء التراث العربي.

المبحث الثالث

أبرز صفات الجاحدين لنعم الله ﷻ وأثر الجحود

أولًا: **صفات الجاحدين لنعم رب العالمين**.

ثانيًا: **آثار الجحود**.

المبحث الثالث

أبرز صفات الجاحدين لنعم الله ﷻ وآثار الجحود

للجاحدين لنعم اللَّه ﷻ صفات تلازمهم ولا تنفك عنهم يلمسها كل متفرس في أحوالهم، كما أن للجحود آثار سيئة وعواقب وخيمة، وهذه الآثار متعددة، ولذا ينبغي بيان أهم صفات الجاحدين وآثار الجحود.

أولًا: **صفات الجاحدين لنعم رب العالمين**:

للجاحدين صفات يعرفون بها، ومن أبرز تلك الصفات ما يلي:

١ ـ الغرور والكبر. ٢ ـ الشح.

٣ ـ الكذب. ٤ ـ الظلم.

تلك أبرز صفات الجاحدين سيقت مجملة، ثم يفصل القول فيها:

١ ـ الغرور والكبر:

من الصفات المرزولة التي لا تفارق الجاحدين لنعم رب العالمين، صفة الغرور والكبر، والمتأمل في كتاب اللَّه ﷻ وفي سنة رسول اللَّه ﷺ وينظر إلى الواقع يجد أن هذه الصفة بينة واضحة في الجاحدين لنعم رب العالمين، ولا أدل على ذلك من قصة صاحب الجنتين التي ساقها رب العالمين في سورة الكهف، وهو نموذج من نماذج الجاحدين لنعم اللَّه ﷻ وكيف ملأه الغرور وأذهلته الثروة وبطرته النعمة فنسي القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، فملأه الغرور وظن أن هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله على أي حال من الأحوال، لا القوة ولا الجاه، فصاحب الجنتين المثمرتين

المحفوفتين بالنخيل حين رأى جنته على هذا الحال وتتوسطهم الزروع، ويتفجر بينهم النهر ملأه الغرور وأحس بالزهو وانتفش كالديك واختال كالطاووس وتعالى على الفقراء حتى قال صاحبه(١): ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾(٢) فلم يشكر صاحب الجنتين ربه على ما أنعم الله عليه من النعم، وإنما جحدها فأنزل الله به ما أنزل لجحوده لنعم ربه، كما كشف الله ﷻ عن صفة الغرور المرزولة التي تملأ نفوس الجاحدين لنعم الله ﷻ، وهذا هو قارون الذي آتاه الله ﷻ من النعم وكنوز المال ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولو القوة، ولكنه لم يشكر نعمة ربه، ولم يسند النعمة للمنعم واغتر رغم نصح قومه له حيث قالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾(٣) لا تغتر بتلك النعم إن الله لا يحب المغرورين، ونصحوه وقالوا له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾(٤).

وفي تفسير مقولة قارون التي أخبرنا الله بها: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾(٥)، يقول الأستاذ/ سيد قطب: (إنها قولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها ويفتنه المال ويعميه الثراء)(٦).

فالقرآن الكريم بين أن الجاحدين لنعم رب العالمين يملأ نفوسهم الغرور والكبر والزهو، وبنو إسرائيل مَنَّ الله عليهم بالكثير من النعم، وأرسل إليهم الكثير من الرسل ومع ذلك استكبروا وجحدوا نعمة الله ﷻ ومن أبرز نعم الله عليهم أن أرسل إليهم الرسل

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢٧٠.
(٢) سورة الكهف، من الآية (٣٤).
(٣) سورة القصص، من الآية (٧٦).
(٤) سورة القصص، الآيتان (٧٧، ٧٨).
(٥) سورة القصص، الآية (٧٨).
(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٧١٢، مرجع سابق.

ليبينوا لهم طريق الله ﷻ، ومع ذلك جحدوا تلك النعمة واستكبروا (وكانت حُجتهم.. في إعراضهم عن الإسلام وإبائهم الدخول فيه أن عندهم الكفاية من تعاليم أنبيائهم وشرائعهم ووصاياهم)(١).

وكذلك قوم سيدنا شعيب استكبروا على تلك النعمة، وهذا ما أخبر الله به عنهم فقال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾(٢).

لقد كان الكبر من صفات الجاحدين لنعم الله ﷻ فأهل الكبر لم يقبلوا نعمة إرسال الرسل واتباع الهدي ولذا حين دعاهم شعيب إلى تلك النعمة (استعملوا قوتهم السبعية في مقابلة الحق، ولم يَرْاعَوُا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفيهة التي دلتهم على هذا القول الفاسد فقالوا إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنك من قريتنا فشعيب عليه السلام كان يدعوهم طامعًا في إيمانهم ـ وهو من أكبر النعم ـ والآن لم يسلم حتى توعده إن لم يتابعهم ـ بالجلاء عن وطنه الذي هو ومن معه أحق به منهم)(٣).

وهذا هو شأن الجاحدين لنعم الله ﷻ، ترى الكبر يملأ نفوسهم ولا يخلو زمان ولا مكان منهم، وهؤلاء الجاحدون لنعم الله ﷻ لكبرهم وتكبرهم سيندمون على ذلك يوم القيامة وعلى جحودهم لنعم الله ﷻ فقد صور الله ﷻ حالهم يوم القيامة عتابًا وعقابًا فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(٤).

٢ ـ الشـــح:

ومن صفات الجاحدين لنعم رب العالمين، الشح، والشح صفة ذميمة لا يوصف بها

(١) المرجع السابق، ١/ ٨٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية (٨٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، ص ٢٧٦، ط. الأولى، مكتبة الصفا.

(٤) سورة الأحقاف، الآية (٢٠).

إلا أصحاب الأخلاق المرزولة، ومن أشد رزالة في الأخلاق ممن جحد نعم الله ﷻ.

والشح في اللغة: هو اسم مأخوذ من قولهم شح يشح شُحًا وشَحًا التي تدل على المنع، قال ابن فارس: (الأصل فيه المنع، ثم يكون منعًا مع حرص يقال تشاح الرجلان على الأمر إذا أراد كل واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه)(١).

والشح في الاصطلاح: هو بخل مع حرص وذلك فيما كان عادة(٢).

وترى في الواقع الاجتماعي أن الجاحدين لنعم الله ﷻ أشحاء فإذا دعوا إلى إنفاق أو إخراج صدقة أو مساهمة في فعل الخيرات تجدهم يشحون ويبخلون بأموالهم، ولا ريب أن هذا من المهلكات لهم، كما أخبر رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ﴾(٣).

فالجاحدون لنعم الله ﷻ أشحاء بخلاء، ويخفون ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، ولا أدل على ذلك مما أشار إليه الحق ـ جل وعلا ـ في حقهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾(٤).

فنكيرهم لنعم الله ﷻ وجحودهم لها أبرز صفة الشح فيهم، فهم كما قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾(٥).

فبرزت صفة الشح في الجاحدين لنعم الله ﷻ فمنعوا زكاة أموالهم وبخلوا بصدقاتهم على الفقراء والمساكين، وأخذوا يجمعون المال من حلاله وحرامه وهذا ما أشار إليه سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: (الشح منع الزكاة وادخار الحرام)(٦).

فالجاحدون لنعم الله ﷻ عرفوا بالشح ومنعهم لزكاة أموالهم لأنهم لا يرون ما بين

---

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/ ١٧٨، مرجع سابق.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ١/ ٢٠٢، مرجع سابق.

(٣) شعب الإيمان، للإمام/ البيهقي، ١١ ـ الخوف من الله، ٢/ ٢٠٣، حديث رقم: ٧٣١.

(٤) سورة النساء، من الآية (٣٧).

(٣) سورة الأحزاب، من الآية (١٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، الإمام/ القرطبي، ١٨/ ٣٠، مرجع سابق.

أيديهم من فضل الله وعطائه ولكن يرون أن هذا من ثمار جهدهم وذكائهم.

٣ ـ الكـــذب:

الكذب من صفات الجاحدين لنعم الله ﷻ والكذب هو مخالفة القول للواقع وتلك الصفة هي أم الجرائم وأبشعها بل مصدر الشرور والآثام لذا قال رسول الله ﷺ: ﴿ إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا ﴾(١).

وهؤلاء الجاحدون يتصفون بكل أنواع الكذب، بل بأشنعه، وأكبر وأشنع أنواع الكذب، ما يكذبه المرء على ربه ﷻ ورسول الله ﷺ فالله يقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾(٢).

والرسول ﷺ يقول في أذكاره ودعائه: ﴿ اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر ﴾(٣).

وهؤلاء الجاحدون حينما نسألهم عن بعض النعم التي أنعم الله بها عليهم، تراهم ينسبونها إلى نفوسهم، فيزعمون ما زعمه قارون من قبل، ويقولون كما قال قارون: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾(٤).

أو ينكرون تلك النعم ويجحدونها على وجه الإطلاق كما كان من الأقرع والأبرص من بني إسرائيل.

---

(١) صحيح الإمام/ مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، ٢٩ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ٤/ ٢٠١٣ حديث رقم: ٢٦٠٧.

(٢) سورة النحل، من الآية (٥٣).

(٣) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح،، حديث رقم: ٥٠٧٣، الناشر: الرسالة العالمية، ط. الأولى، ٢٠٠٩م، كما أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح إسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) سورة القصص، من الآية (٧٨).

٤ ـ الظلـم:

والجاحدون لنعم الله ﷻ من "ابرز صفاتهم الظلم، لأنهم بجحودهم لنعم الله ﷻ ظلموا أنفسهم أولًا كما ظلموا غيره، وقبل أن نبين كيف ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم نبين مفهوم الظلم.

والظلم في اللغة: اسم من ظَلَمهُ ظلمًا.. وأصل المادة يدل على أصلين، يقول ابن فارس: (الظاء والميم أصلان صحيحان أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء في غير موضعه تعديًا)(١).

وأما مفهوم الظلم في الاصطلاح: (هو التصرف في حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد)(٢).

والجاحدون لنعم الله ﷻ من صفاتهم الظلم، ظلموا أنفسهم بجحودهم لنعم الله ﷻ وظلموا غيرهم حيث أعطاهم الله الكثير من النعم، ومع ذلك بخلوا بها، فبنوا إسرائيل أعطاهم الله الكثير من النعم، حيث أظلهم الله بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، وأمرهم الله أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم الله ﷻ وأن ينقادوا لأمره، وليكونوا لنعم الله من الشاكرين ولكنهم جحدوا هذا النعيم، ولم ينقادوا لأمر الله ﷻ على النحو الذي أمرهم به، كما أن الجاحدين لنعم الله ﷻ بجحودهم لنعم الله ﷻ لا ينفقون من تلك النعم، فلا زكاة يخرجونها ولا صدقة يتصدقون بها، لذا حذر أهل الإيمان من عدم الإنفاق وعدم أداء حقوق الله ﷻ لأن كل هذا من صفات الجاحدين لنعم الله ﷻ وهؤلاء الجاحدون لنعم الله ﷻ بإمساكهم صدقات أموالهم وزكاتهم ظلموا أنفسهم وظلموا الفقراء، فحذر الله أهل الإيمان ألا يسيروا على دربهم فيظلموا أنفسهم كما ظلم هؤلاء الجاحدون لنعم الله أنفسهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ

(١) راجع: المصباح المنير، أحمد محمد علي الفيومي، ٢/ ٣٨٦، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) التعريفات، للجرجاني، ص ١٨٦، مرجع سابق.

فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾(١).

وهل هناك ظلم أكبر ممن يسند نعم الله إلى نفسه فيقول: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾(٢).

لاشك أن هذا من أعلى مراتب الظلم وصدق الله إذ يقول: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾(٣).

ثانيًا: أبـرز آثار الجحود لنعم الله ﷻ:

للجحود لنعم الله ﷻ آثار سيئة، وعواقب وخيمة، وهذه الآثار متعددة ومتنوعة، وهي كثيرة غير قليلة ولكن يمكن أن نجمل أهمها وأبرزها فيما يلي:

١ ـ استدراج الجاحد لنعم الله ﷻ.

٢ ـ تبديل نعمة الله ﷻ وزوالها.

٣ ـ الهلاك والعذاب.

تلك أبرز وأخطر آثار الجحود لنعم الله ﷻ سيقت مجملة، وإليك شيئًا من التفصيل عنها:

١ ـ استدراج الجاحد لنعم الله ﷻ:

يغدق الله ﷻ على عباده بالكثير من نعمه، والناس ما بين شاكر وجاحد، فيزيد الله ﷻ الشاكر من نعمه، تفضلًا منه سبحانه وتعالى، وقد يسلب الله نعمته من الجاحد في بعض الأحيان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾(٤).

وفي بعض الأحيان يزيد الله ﷻ الجاحد لنعمه، استدراجًا، وتكون الزيادة في تلك

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٤).

(٢) سورة القصص، من الآية (٧٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٩٤).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٧).

اللحظات ليس من باب النعمة ولكن من باب العقوبة من الله ﷻ لهذا الجاحد ليتمادى الجاحد في غيه وغفلته، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾(١).

فقد يستدرج الله ﷻ الجاحد لنعمه بسبب جحوده فيعطيه الكثير من النعم ويزيده وربما يتمثل الاستدراج في ألوان من النعم فيظن الجاحد لنعم الله ﷻ أن تأخير العذاب عنه وإسداء النعم له بسبب مكانته عند ربه، ويتوهم أنه صاحب كرامة عند الله ﷻ، وأنه يوم القيامة من الناجين، وبالجنة من الفائزين.

وفي الحقيقة أنه من المستدرجين، وربما يقول البعض ما هو الاستدراج؟، قلت: هو نقل المنعم عليه من حالة إلى حالة أكثر إنعامًا مع تأخير العقوبة إلى وقت ما، وبهذا ينسى المستدرج شكر نعمة الله تعالى، وينشغل عن منهج الله ﷻ بكثرة النعم، وتلك حقيقة ذكرها الله ﷻ في كتابه، فقد ذكر الله ﷻ أقوامًا أرسل إليهم الرسل وأنعم عليهم بالكثير من النعم، وذكرهم الحق ـ جل وعلا ـ بنعمه عليهم، وتدبيره لأمورهم، وتيسير أرزاقهم، ولكنهم نسوا أو تناسوا ما ذكروا به، وعند ذلك كانت بداية العقوبة، أن أفاض الله عليهم بالنعم من كل ما يشتهون ويحتاجون ثم كانت العقوبة أن أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢).

وتلك سنة الله ﷻ في الجاحدين لنعمه عبر الأزمان، ففرعون وجنوده، وقارون، وأمثالهم لما جحدوا نعمة الله أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فقال تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٢).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان (٤٤، ٤٥).

(٣) سورة الدخان، الآيات (٢٥ـ٢٨).

فالمتأمل في شأن الجاحدين لنعم الله ﷻ يدرك تلك الحقيقة.

٢ ـ تبديل النعمة وزوالها:

بعض الناس رغم كثرة إنعام الله ﷻ عليهم يجحدون بعض نعم الله ﷻ عليهم فيسلب الله تعالى تلك النعم، فمن أقوى الأسباب التي تؤدي إلى سلب النعمة وزوالها جحودها، ولقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة فذكر بعض الأقوام الذين جحدوا نعمة الله ﷻ فسلبهم الله ﷻ نعمته وأزالها عنهم ومن بين هؤلاء قوم سبأ ويخبر الله عن جحودهم لنعمته فيقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾(١).

كما ذكر القرآن الكريم نموذجًا آخر ممن جحدوا نعمة الله ﷻ فأشار في سورة النحل إلى القرية التي غمرها الله بنعمه ولكنها كفرت بتلك النعم وجحدتها ولم تؤد شكرها فكان عقاب الله لجحود نعمه أن سلبها تلك النعم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾(٢).

٣ ـ الهلاك والعذاب الشديد للجاحدين:

لا ريب أن مصير الجاحدين لنعم الله ﷻ هو العذاب، وهذا العذاب إما أن يكون في الدنيا، وإما أن يكون في الآخرة، وإما أن يكون فيهما معًا، وعذابهم في الدنيا، قد صوره ربنا ﷻ في كتابه فقد يكون بالغرق، وقد يكون بالصعق، وقد يكون بالخسف، وقد يكون بالريح أو التدمير والأخذ على غرة وسلب النعمة منهم وغير ذلك من ألوان العذاب وأشكاله، ويبقى لهم عذاب الآخرة أشد وأنكى وأخزى، وكم ذكر القرآن الكريم من

(١) سورة سبأ، الآيات (١٥ ـ ١٧).

(٢) سورة النحل، الآية (١١٢).

هؤلاء؟ ذكر العديد منهم وبين عاقبتهم وخاتمتهم، فقارون أعطاه الله من الأموال والكنوز ما يفوق الوصف والخيال، ولكنه كان لتلك النعم من الجاحدين، فكانت عاقبته الخسف، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾(١).

وكذلك فرعون تكبر وتجبر حتى أراد أن يلحق بموسى بعد خروجه ولم يكن لما آتاه الله ﷻ من ملك وجنات وزروع من الشاكرين، بل كان لها من الجاحدين فأهلكه الله ﷻ، قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾(٢) فهذا مصير الجاحدين لنعم رب العالمين.

ومما سبق تشير الدلائل أن على كل إنسان أتاه الله نعمة أن يؤدي شكرها ولا يجحدها حتى يثاب على شكره على تلك النعمة وليديمها الله ﷻ عليه، فغن جحودها سبب قوي لزوالها أو إنزال العذاب على الجاحد.

❁ ❁ ❁

(١) سورة القصص، الآيات (٧٦ ـ ٨١).

(٢) سورة الدخان، الآيات (٢٥ ـ ٢٧).

المبحث الرابع

الشكـــر أركانه وآثـــاره

أولًا: مفهوم الشكر في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: الفرق بين الشكر والحمد.

ثالثًا: أركان الشكـــر.

رابعًا: أبرز آثار الشكر لنعم الله ﷻ.

المبحث الرابع

الشكـــر أركانه وآثـــاره

لقد أمر الله ﷻ عباده بشكره كما أمرهم بعبادته، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾(٢)، كما أثنى الله ﷻ على أنبيائه ورسله لشكرهم لنعم ربهم ـ جل وعلا ـ فقال في شأن نبيه نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾(٣).

وقال عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾(٤).

وهذا المدح والثناء ليس محصورًا ولا مقصورًا على الأنبياء لشكرهم لنعم ربهم بل هذا الثناء لكل شاكر لنعم ربه وسار على منهج الله ﷻ وإذا كان الشكر من سيمات المؤمنين، ويجعل العبد في منزلة عالية عند ربه، وسببًا في المزيد من نعم الله ﷻ فينبغي أن نبين مفهوم الشكر في اللغة والاصطلاح.

---

(١) سورة النساء، من الآية (٣٦).

(٢) سورة البقرة، من الآية (١٧٢).

(٣) سورة الإسراء، من الآية (٣).

(٤) سورة النحل، الآيتان (١٢٠، ١٢١).

أولًا: مفهوم الشكر لغة واصطلاحًا:

الشكر في اللغة: من شكر تقول شكرت اللَّه، وشكرت للَّه، وشكرت نعمة اللَّه، وهو الاعتراف بالإحسان... تقول شكرت الدابة شكرًا وشكورًا وشكرانا كفاها القليل من العلف(١).

يقول ابن منظور: (الشكر عرفانًا بالإحسان ونشره... والشكر مقابل النعمة "وهو يكون" بالقول... وبالفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه، ويذيب النفس في طاعته ويعتقد أنه موليها "ثم يواصل قوله فيقول" الشكر الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف)(٢).

وأكد هذا المعنى صاحب كتاب متن اللغة: فيقول عن الشكر: (شكر له شكرًا وشكورًا وشكرانًا كافأهُ على نعمه ثناء باللسان أو تقديرًا في الجنان أو عملًا بالأركان)(٣).

كما ذكر صاحب المصباح المنير ما يفيد أن الشكر الاعتراف بنعمة المنعم والانقياد له قولًا وفعلًا فيقول: (شكرت اللَّه اعترفت بنعمته وفعلت ما يجب "من" فعل الطاعة وترك المعصية، ولهذا يكون الشكر بالقول والعمل)(٤).

أما الشكر في الاصطلاح فقد عرفه ابن القيم بقوله الشكر: (هو ظهور أثر نعمة اللَّه على لسان عبده ثناءً واعترافًا وعلى قلبه محبة وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة)(٥).

وذكر ابن القيم تعريفًا آخر لا يختلف عن التعرف السابق إلا في ألفاظه حيث قال عن الشكر هو: (عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته وجريان اللسان

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١/ ٤٩٢، ط. المكتبة العلمية، طهران.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٤٢٣، ط. دار صادر.

(٣) معجم متن اللغة، الشيخ/ أحمد رضا، ٣/ ٣٥٤، ط. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٨هـ.

(٤) المصباح المنير، أحمد محمد علي الفيومي، ص ٣١٩، ٣٢٠، ط. المكتبة العلمية، بيروت.

(٥) مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٢٤٤، ط. الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.

بذكره والثناء عليه)[1].

والمتأمل في المفهوم اللغوي والاصطلاحي للشكر: أن المفهوم قد التقى لغة واصطلاحًا وأن المفهوم اللغوي والاصطلاحي يؤكدان أن الشكر قول وعمل ومحبة للمنعم وثناء عليه، وبهذا لا يكون الشكر شكرًا متكاملًا إلا إذا جمع بين القول والفعل والمحبة والثناء على المنعم.

ثانيًا: الفرق بين الحمد والشكر:

لقد أطال العلماء الحديث في بيان الفرق بين الشكر والحمد من جهة المدلول والمتعلق أو غير ذلك، بل ومن العلماء من لم يفرق بينهما ومن بين هؤلاء اللحياني[2].

وممن فرق بين الشكر والحمد (ثعلب)[3] حيث قال: (الحمد يكون عن يد وعن غير يد والشكر لا يكون إلا عن يد)[4].

ويرى الأزهري أن (الشكر لا يكون إلا عن ثناء ليد أو ليتها، والحمد لا يكون شكرًا لصنعة، ويكون ابتداء للثناء على الرجل فحمد الله الثناء عليه، ويكون شكر النعمة التي شملت الكل فالحمد أعم من الشكر)[5].

ويذكر ابن منظور في لسان العرب أن: (الشكر والحمد متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد إنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته)[6].

ومن أهل العلم من قال: (الحمد والشكر في اللغة يفترقان، فالحمد لله الثناء على الله

---

(١) المصدر السابق، ٢/ ٢٤٤.

(٢) اللحياني: هو أبو الحسن علي بن المبارك اللحياني هو نحوي من الكوفة ومن نحاة الطبقة الثالثة من المدرسة الكوفية، امتاز بكثرة نقله وتدوينه للنوادر من اللغة، توفى ٢٢٠ هجرية.

(٣) ثعلب هو: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار البغدادي النحوي الشيباني، توفى سنة ٢٩١هجرية من أعلام المدرسة النحوية بالكوفة.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٤٢٣، ط. دار صادر.

(٥) المصدر السابق، ٣/ ١٥٥.

(٦) المصدر السابق، ٢/ ٩٨٣.

تعالى بصفاته الحسنى، والشكر أن تشكر بما أنعم الله عليك، وقد يوضع الحمد موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد)[1].

وهذا يعني أن الحمد أعم من الشكر وإلى هذا ذهب ابن منظور فقال: (والشكر مثل الحمد إلا إن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته، والشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسان ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مواليها)[2].

والحمد رأس الشكر، ما شكر عبد لا يحمده، كما أن كلمة الإخلاص رأس الإيمان، وإنما كان رأس الشكر لأن فيه إظهار للنعمة والإشادة بها، ولأنه أعم منه فهو شكر وزيادة)[3].

كما تحدث الإمام/ الزبيدي[4] عن الفرق بين الحمد والشكر وأيهما أفضل، فهو يرى أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، ومعنى هذا الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا وبالجوارح طاعته وانقيادًا، ومتعلقة بالمنعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال لا شكرنا الله على حياته، وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها، كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان، والنعم، فكل ما يتعلق بالشكر يتعلق بالحمد، من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد

(١) الزهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد أحمد الأزهري، المحقق: مسعد عبد الحميد، ص ٦٦، النشار: دار الطلائع.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٤/ ٤٢٤، ط. دار صادر.

(٣) المصدر السابق، ٣/ ١٥٦.

(٤) الزبيدي هو/ محمد بن الوليد بن عامر، الإمام الحافظ الحجة القاضي أبو الهذيل الزبيدي الحمصي قاضيها، ولد في خلافة عبد الملك قال (عنه) ابن سعد: مات سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة النبوية، وهو ابن سبعين سنة، راجع: سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٨١ ـ ٢٨٣، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط.

باللسان(١).

ثالثًا: أركان الشكـــر:

للشكر أركان ينبغي للمسلم أن يكون على علم ومعرفة بها، حتى يعرف كيف يؤدي شكر نعمة ربه، فينبغي أن نتحدث بشيء من التفصيل عن أركان الشكر، فالعبادات في الإسلام، تقوم على أركان وسنن، والعبادة في الإسلام لا تصح إلا بأداء أركانها، والشكر في الإسلام من العبادات القلبية التي لها أركان، وأركان الشكر تتمثل فيما يلي:

١ ـ الاعتراف بالنعمة وإسنادها للمنعم.

٢ ـ أداء شكر النعمة بالقول والفعل.

٣ ـ استعمال النعمة في طاعة الله ـ جل وعلا ـ والانقياد له.

٤ ـ العمل على الحفاظ على النعمة.

تلك أركان الشكر مجملة، وإليك شيئًا من التفصيل:

١ ـ الاعتراف بالنعمة وإسنادها للمنعم:

الناس غارقون في نعم الله ﷻ وهم يتفاوتون في موقفهم منها، فمنهم من لربه عليها من الشاكرين، ومنهم من لها من الجاحدين، ومنهم من عنها من الغافلين، ومن أركان شكر النعمة، الإقرار والاعتراف بأن تلك النعم من الله ﷻ لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾(٢).

وأن يسند العبد تلك النعم إلى الله ﷻ حتى وإن أجرى الله تلك النعمة إليه على يد أحد من خلقه فيقول مردداً: ﴿ اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ﴾(٣)، ويقول إذا أمسى مثل ذلك.

---

(١) تاج العروس، للزبيدي، ١٢/ ٢٢٦، الناشر: دار الهداية.

(٢) سورة النحل، الآية (٥٣).

(٣) الإحسان في تقريب ابن حبان، كتاب: الأذكار، ذكر الشيء إذا قاله المرء عند الصباح كان مؤدياً لشكر ذلك اليوم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،٣/ ١٤٣، حديث رقم: ٨٦١، ط. الأولى، ١٩٨٨م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢ ـ أداء شكر النعمة بالقول والعمل:

ومن أركان شكر النعمة لله ﷻ أداء الشكر بالقول والعمل، فالله ﷻ قال لآل داود: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[1]، فإذا شكر العبد نعمة ربه بالقول، فعليه أن يشكره بالعمل، فيسير العبد في درب الطاعة، ويبتعد عن درب المعصية، وأن ينفق من تلك النعمة إن كانت تلك النعمة من النعم التي ينفق منها، كالعلم والمال وغيرهما.

٣ ـ استعمال النعمة في طاعة الله ـ جل وعلا ـ والانقياد له:

واستعمال نعمة الله ﷻ في طاعته من أركان شكر النعمة، فينبغي للعبد أن يستعمل نعمة الله في طاعته، ولا يستعمل نعمة الله في معصية الله ﷻ فإن هذا من عين شكر نعمة الله ﷻ فلله در القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم[2]

٤ ـ العمل على الحفاظ على النعم:

من أركان الشكر لنعمة الله ﷻ العمل على الحفاظ على النعمة التي أنعم الله بها على عبده، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾[4].

فيستعمل العبد نعمة الله ﷻ بقصد دون شح وتقتير، وبجود دون إسراف أو تبذير.

رابعًا: أبرز آثار الشكر لنعم الله ﷻ:

لشكر نعمة الله ﷻ آثار كبيرة، وثمرات عظيمة، ومنافع لا تعد ولا تحصى، ومن تلك

---

(١) سورة سبأ، من الآية (١٣).

(٢) الرقائق والآداب والأذكار، سعيد علي القحطاني، ص ٣٩٦، الناشر: مطبعة سفير، الرياض.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٢٩).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٢٦).

الآثار التي تظهر للعيان، ويشعر بها الإنسان، ولا ريب أن هذه الآثار كثيرًا ما يعود نفعها على الفرد والمجتمع، بحيث تنعكس إيجابًا على أمر الدين والدنيا، وعلى العلاقات والروابط الاجتماعية، ويمكن أن نجمل أبرز آثار شكر النعم فيما يلي:

١ ـ الحفاظ على النعمة ودوامها وزيادتها.

٢ ـ الجزاء العظيم في الآخرة.

٣ ـ رفع العذاب والنجاة في الدنيا والآخرة.

٤ ـ نيل رضا الله ومحبته.

تلك أبرز آثار شكر النعم مجملة، وإليك شيئًا من التفصيل:

١ ـ الحفاظ على النعمة ودوامها وزيادتها:

يفيض الله ﷻ على عباده بالنعم، ويغدق عليهم بالهبات والعطايا والخيرات فينبغي على العبد أن يقابل تلك النعم الربانية بالشكر، ليرزق العبد بركتها ودوامها، فقد قال سيدنا عمر بن عبد العزيز: (قيدوا نعم الله بشكر الله تعالى)(١).

ومما لا ريب فيه أن نعم الله ﷻ تنمو وتزداد وتدوم بالشكر، وبالشكر تفيض الأرزاق والخيرات، وقد يقول قائل إن الله قسم الأرزاق بين العباد، فأعطى كلًا منهم على حسب حكمته، ولكن ينبغي للعبد أن يدرك أن الله جعل للرزق أسبابًا كالاستقامة على منهج الله ﷻ والثناء على الله تعالى وشكر نعمته، والأخذ بالأسباب، فيغدق الله ﷻ على من يشاء من عباده بالكثير من النعم، فإن شكروا بالقلب واللسان والعمل كتب الله ﷻ لهم ما يشاء من الحسنات، وزادهم من نعمه، فمن يتأمل في القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات، تبين أن سعة الرزق وكثرة نعم الله على العبد ودوامها عليه، لها أسباب منها الإيمان والعمل الصالح والشكر بالقول والعمل، وهذا ما أشار إليه الحق في قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾(٢).

(١) الشكر، لابن أبي الدنيا، ص ١٩، رقم الأثر: ٢٧، ط. الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية.

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٧).

فمن أقوى الأسباب التي تؤدي إلى توالي نعم الله ﷻ وزيادتها ودوامها، وتكون لنعم الله ﷻ على العبد بمثابة الحارس الأمين هو شكر الله ﷻ على نعمه بالقول والعمل، يقول الإمام/ القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾(١).

ففي هذه الآية نص في أن الشكر سبب المزيد من النعم والمعنى (لئن شكرتم إنعامي "عليكم" لأزيدنكم من فضلي)(٢).

ويقول الإمام/ الشوكاني في تفسير تلك الآية السالفة: (والمعنى: لئن شكرتم إنعامي عليكم... لأزيدنكم نعمة إلى نعمة تفضلًا مني، وقيل لأزيدنكم من طاعتي، وقيل لأزيدنكم من الثواب والأول أظهر)(٣).

فزيادة النعم ثمرة من ثمرات الشكر فمن يريد دوام نعمة الله عليه وزيادتها فعليه بالشكر، فهو الضمانة الأكيدة لاستمرار النعم وزيادتها وهذا ما أكده رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿ لا يرزق الله عبدًا الشكر فيحرمه الزيادة لأن الله ﷻ قال: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ﴾(٤).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سيدنا علي ﷺ أنه قال: ﴿ إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد حتى ينقطع الشكر من العبد ﴾(٥).

٢ ـ الجزاء العظيم في الآخـرة:

لقد أعد الله ﷻ للشاكرين الثواب الكبير والأجر العظيم، لأنهم شكروا نعمة ربهم،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٧).

(٢) تفسير الإمام/ القرطبي، ٥/ ٣١٠.

(٣) فتح القدير، الإمام/ الشوكاني، ٣/ ١١٥، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

(٤) شعب الإيمان، للإمام/ البيهقي، ٤/ ١٢٧، رقم: ٤٥٣٢.

(٥) الشكر، لابن أبي الدنيا، ص ١٦، رقم الأثر: ١٨.

قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾(١).

يقول سيد قطب: (وسيجزي الله الشاكرين الذين يعرفون مقدار النعمة التي منح الله لعباده في إعطائهم هذا المنهج فيشكرونها باتباع المنهج ويشكرونه بالثناء على الله ومن ثم يسعدون بهذا المنهج، فيكون هذا جزاء طيبًا على شكرهم، ثم يسعدون بجزاء الله لهم في الآخرة وهو أكبر وأبقى)(٢).

ولا ريب أن بمقدار شكر العبد لربه يكون الجزاء من الله للعبد بل يزيد الله من فضله وعطائه، وكلما داوم العبد على شكر ربه بلسانه وجوارحه كلما كان الجزاء أكبر وأعظم، وارتقى الشاكر في منازل القرب من الله ﷻ فيدرك الشاكر منزلة الصائم الصابر في القرب من الله ﷻ، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ حيث يقول: ﴿ الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر﴾(٣).

ولا ريب أن هذا من فضل الله ﷻ حيث جعل ثواب الشاكرين ومنازلهم، منازل الصائمين الصابرين، وفي الحديث دلالة واضحة على ذلك، وعلى حث النبي ﷺ أمته على شكر نعم الله تعالى.

٣ ـ النجاة في الدنيا والآخرة:

تتعدد ثمرات الشكر ومن بين هذه الثمرات غفران الله ﷻ لعباده على بعض تقصيرهم في طاعته وبعض تقصيرهم في إدامة شكره على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، فأي إنسان لا يمكنه أداء عبادة الله وشكره كما ينبغي، لذا أمرنا الله بعبادته وشكره ما استطعنا، لذا قال الله ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا

(١) سورة آل عمران، من الآية (١٤٤).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٤٨٦، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، سنة ١٩٩٢م.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب: الصيام، باب: فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر، ١/ ٥٦١، رقم: ٥٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مسند الإمام أحمد، ١٣/ ٢١٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، حديث رقم: ٨٧٠٦، ط. مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٩٩٩م.

لِّأَنفُسِكُمْۖ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾(١).

ويقول سليمان التميمي(٢): (إن الله ﷻ أنعم على عباده على قدره وكلفهم الشكر على قدرهم)(٣).

فإذا شكر العباد ربهم على ما أنعم عليهم، وشعروا بعجزهم عن شكر ما لا يستطيعون شكره، غفر لهم تقصيرهم، وعفا عنهم ولا يعاقبهم فيرفع عنهم العذاب إن هم شكروا نعمه، وقاموا على منهجه وآمنوا به وهذا ما صرح به الحق في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾(٤).

فمن أسباب نزول العذاب عدم الشكر والإيمان، ومادام الشكر حاصلًا والإيمان كائنًا وملأ قلوب عباده، فلا يعذب الله عباده، وهذا ما أشار إليه الواحد النيسابوري في تفسير الآية السابقة مبينًا أن الله لا يعذب خلقه إن هم قاموا بما هو واجب عليهم من شكر والاعتراف بالإحسان، وإصلاح العمل، في مقابل النعمة، فإن من شكر لمولاه شكر الله له عمله ولو كان قليلًا، وجازاه عليه بالكثير وقال قتادة إن الله لا يعذب شاكرًا ولا مؤمنًا(٥).

فشكر النعم يؤدي إلى رفع العذاب عنهم وغفران ذنوبهم التي حدثت بسبب تقصيرهم وعجزهم، ولقد بين القرآن الكريم أن الشاكر ينجو من عذاب الله تعالى في الدنيا كما ينجيه الله من عذاب الآخرة، ولا أدل على ذلك مما حدث لنبي الله لوط عليه السلام حينما نجاه الله ومن معه من الهلاك والعذاب الذي أنزله الله بساحة قوم لوط عليه السلام قال

(١) سورة التغابن، الآية (١٦).

(٢) سليمان التميمي: هو سليمان بن طرخان التميمي، مولى بني مرة، نزل في بني تميم، ولم يكن منهم فنسب إليهم، كنيته أبو المعتمر، كان من عباد أهل البصرة، وكان يذب عن السنة، توفى سنة ١٤٣هـ، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، ٢/ ٩٩، ط. الأولى، ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة.

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي، ٤/ ١٣٨، رقم: ٤٥٧٨، ط. دار الكتب العلمية.

(٤) سورة النساء، الآية (١٤٧).

(٥) التفسير البسيط، للواحد النيسابوري، ٧/ ٦٩، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود.

تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾(١).

٤ ـ نيل رضا الله ومحبتـــه:

ومن ثمرات شكر نعمة الله محبة الله ﷻ للشاكرين، ورضاه عنهم فهذا من أهم ما يحظى به الشاكر، ومن أهم ما يوصل العبد إلى رضا الله إيمانه واستدامته لشكر الله على نعمه، وليس شكر النعمة وطاعة العبد لربه يصل بالعبد إلى حب الله له فحسب، بل يولد في قلب العبد حب الله تعالى فيرقى العبد المؤمن الشاكر حتى يصبح من الذين قال الله فهيم: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾(٢).

وإذا أحب الله عبدًا أحبه أهل السماء والأرض، وهذا ما اشارت إليه السنة النبوية، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلان فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ﴾(٣).

فشكر الله على نعمه من الوسائل التي يستجلب بها العبد رضا الله ﷻ عليه وترقى به إلى محبة الله ﷻ، وحب أهل السماء والأرض.

❁ ❁ ❁

(١) سورة القمر، الآيات (٣٣ ـ ٣٥).

(٢) سورة المائدة، من الآية (٥٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، ٤٨ ـ باب: إذا أحب الله عبداً، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٤/ ٢٠٣٠، من الحديث رقم: ٢٦٣٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المبحث الخامس

أبرز صفات الشاكرين

أولًا: **القناعة والرضا**.

ثانيًا: **الكرم والجود**.

ثالثًا: **الألفة والمحبة**.

رابعًا: **الصدق**.

خامسًا: **الوفاء**.

سادسًا: **الاعتراف بالفضل لأهل الفضل**.

المبحث الخامس

أبرز صفات الشاكرين

للشاكرين لنعم الله ﷻ صفات تميزهم عن غيرهم، كما أن للجاحدين لنعم الله صفات عرفوا بها وأهم وأبرز صفات الشاكرين لنعم الله ﷻ ما يلي:

أولًا: القناعة والرضا.　　ثانيًا: الكرم والجود.

ثالثًا: الألفة والمحبة.　　رابعًا: الصدق.

خامسًا: الوفاء.　　سادسًا: الاعتراف بالفضل لأهل الفضل.

تلك أبرز صفات الشاكرين لنعم الله ﷻ سيقت مجملة، وإليك شيئًا من التفصيل عنها:

أولًا: **القناعة والرضا**:

من الناس من أقبل على الدنيا بقلبه وتطلع إلى زينتها وزخرفها ملء عيونهم، وتنافسوا في أبيضها وأصفرها، وجعلوا كسب المال أكبر همهم، والانغماس في متع الدنيا الحسية ديدانهم، وتفاخروا بما حصلوا منها وماتوا غمًا لما فاتهم منها، وهؤلاء مع

كل ما حصلوا منها فقراء، ولسان حالهم يقول هل من مزيد، ومع ذلك لم يكونوا لنعم ربهم لا الحسية ولا المعنوية ولا الظاهرة ولا الباطنة من الشاكرين، ومن الناس من كان لنعم ربه من الشاكرين ولما أعطاه من القانعين، لأنه يرى أن الغنى ليس في كثرة المال، وإنما الغنى في القناعة، وهذا ما أوصى به سيدنا سعد بن أبي وقاص ابنه فقال سيدنا سعد لابنه: (يا بني إذا طلبت شيئًا فاطلب القناعة فإن لم يكن لك قناعة فليس يغنيك مال)(١).

فلقد علم سيدنا سعد ﷺ ابنه ما تعلمه على يد معلمه الأول، فقد علم رسول الله ﷺ أصحابه والأمة القناعة، وبين لهم أن الغنى ليس في كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، قال رسول الله ﷺ: ﴿ليس الغنى في كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس﴾(٢).

ولقد تميز بالقناعة، وأصبحت القناعة ملازمة لهم ملازمة الثوب للجسد، الشاكرون لنعم الله ﷻ، شكروا الله على ما أعطاهم من النعم وحمدوه على ما منعهم فكانوا أغنى الناس لتجسدهم حديث رسول الله ﷺ: ﴿وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس﴾(٣).

بل ازداد الشاكرون قناعة بما أعطاهم الله من نعم لملاحظتهم أن هناك من هو أدنى منهم حالًا ونصيبًا، فزادهم الله قناعة بما أعطاهم لرضاهم بعطاء الله ﷻ فالشاكرون دائمًا ينظرون إلى من هو أدنى منهم حالًا فيقنعوا ويرضوا بما قسم الله ﷻ فلا يزدرون نعمة مهما كان الأمر خوفًا أن يجرهم الازدراء، إلى الجحود لنعم الله ﷻ، والذي رفعهم إلى هذا المقام من الشكر والقناعة والرضا عملهم بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه سيدنا أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله﴾(٤).

---

(١) المحاسبة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري، ٣/ ٤٩٧، الناشر: جمعية التربية الإسلامية، وحياة السلف بين القول والعمل، لأحمد بن ناصر الطيار، ص ٤٥٧، الناشر: دار بن الجوزي.

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الزكاة، ٤٠-باب: ليس الغنى في كثرة العرض، ٢/ ٧٢٦، حديث: ١٠٥١، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٣) مسند الإمام أحمد، ١٣/ ٤٥٩، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٤) المصدر السابق، ١٦/ ١٧٦.

والشاكرون لنعم الله ﷻ تسربلوا بالقناعة ورضوا وقنعوا بما رزقهم الله ﷻ من النعم لتجسدهم تعاليم المصطفى ﷺ حيث قال رسول الله ﷺ: ﴿ كن ورعًا تكن أعبد الناس وكن قانعًا تكن أشكر الناس ﴾(١).

ثانيًا: الكرم والجود:

يتحلى الشاكرون بمحامد الصفات، ومن بين هذه الصفات الكرم والجود، ورسول الله ﷺ كان من الشاكرين، وتحلى بالكرم والجود، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، والأدلة على ذلك كثيرة من بينها ما ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ذبح شاة وأمر بالتصدق بلحمها فتصدقوا بلحمها ثم يسأل رسول الله ﷺ عائشة: ﴿ ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: بقي كلها غير كتفها ﴾(٢).

فانظر إلى هذا الكرم والجود الذي تحلى به سيد الشاكرين وإمام المرسلين ولقد تحلى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالكرم والجود شكرًا لنعم الله ﷻ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ﴿ أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك، قلت مثله، قال وأتى أبو بكر رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك إلى شيء أبدًا ﴾(٣).

فالشاكرون لنعم الله ﷻ يؤدون شكر نعم الله ﷻ فيلتزمون بمنهج الله ﷻ ويتحلون بالكرم والجود، فهو ـ الكرم والجود ـ من شيم وصفات الشاكرين، كما أن جود الشاكرين بنعم ربهم يفتح أبواب جود الله ﷻ عليهم ويوقن الشاكرون لنعم الله ﷻ أن تعلقهم

(١) سنن ابن ماجة، ٢٤ ـ باب: الورع والتقوى، ٢/ ١٤١٠، حديث رقم: ٤٢١٧، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح السنة، للإمام/ البغوي، باب: فضل الصدقة، ٦/ ١٣٦، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

(٣) شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين، لابن شاهين، ١/ ١٥٧، ط. الأولى، ١٤١٥هـ، الناشر: مؤسسة قرطبة.

بالكرم والجود يقودهم إلى الجنة، يقول الإمام/ أبو حامد الغزالي ما خلاصته: من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم... ألا عن السخاء شجرة في الجنة أغصانها مدلاة في الأرض من تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة(١).

ولما كان الشاكرون يتحلون بالكرم والجود أوصى بهم رسول الله ﷺ خيرًا، فقال: ﴿ تجاوزوا عن ذنب السخي ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: ﴿ السخي قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة ﴾(٣).

فالشاكرون يتحلون في كل مكان وفي كل زمان بالجود والكرم، رجاء رضا الله عليهم وشكرًا لله على نعمه، وللاستزادة من فضله، وهم لا يخلو منهم زمان ولا مكان، ولشكر الشاكرين لربهم وتحليتهم بالكرم والجود يزيديهم الله من فضله، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ بينما رجل بفلاة فسمع صوتًا في سحابة اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حره فإذا هي سرجة من تلك السراج قد استوعبت الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع فيه السحابة فقال له يا عبد الله لم تسالني عن اسمي؟ قال إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان اسمك فما تصنع فيها، قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه ﴾(٤).

هذا هو حال الشاكرين مع ربهم يتحلون بالكرم والجود فيزيدهم الله من فضله

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣/ ٢٥٤.

(٢) أحاديث الشيوخ الثقات، المشيخة الكبرى، مشيخة قاضي المارستان، ٢/ ٨٦٥، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ، الناشر: دار عالم الفوائد.

(٣) شعب الإيمان، للإمام البيهقي، ٧٤ باب: الجود والسخاء، ١٣/ ٢٩٣، الناشر: مكتبة الرشد.

(٤) صحيح الإمام مسلم، ٥٣ كتاب: الزهد والرقائق، ٤ باب: الصدقة في المساكين، ٤/ ٢٢٨٨، حديث: ٢٩٨٤، ط. دار إحياء التراث العربي.

فينالون محبة الله ومحبة الناس، وقربهم من الله ﷻ ومن الجنة.

ثالثًا: الألفة والمحبة:

والشاكرون لنعم الله ﷻ يحبون الناس ويحبهم الناس، وذلك لأنهم لا يطمعون فيما في أيدي الناس، كما أنهم يجودون ببعض مما في أيديهم على الناس شكرًا لله على نعمه، يحبون الفقراء ويحنون عليهم ويقولون لهم أنتم طريقنا إلى الله تعالى وأنتم وسيلتنا لاستجلاب رحمة الله تعالى ونعمه، فتمتلأ قلوب الفقراء بمحبتهم وألفتهم، وبهذا يصل الشاكرون إلى مرتبة عالية في الدنيا منها محبة الناس لهم وفي الآخرة تنصب لهم كراسي حول العرش يوم القيامة، وتكون وجوههم كالبدر، لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يخافون، قال رسول الله ﷺ: ﴿ ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، فقيل من هم يا رسول الله؟ قال المتحابون في الله تعالى ﴾(١).

والشاكرون لنعم الله ﷻ يحرصون على التواد مع عباد الله ﷻ والإحسان إليهم، وزيارتهم فيألفهم الناس ويألفون الناس وهؤلاء يجزيهم الله ﷻ خير الجزاء ويصف رسول الله ﷺ جزاء الله لهم فيقول: ﴿ المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم الأنبياء والشهداء ﴾(٢).

(كما تميز الشاكرون بحسن الخلق، فأثمر حسن الخلق... التحاب والتآلف والتوافق)(٣).

ويحظى الشاكرون لنعم ربهم بقرب مجلسهم من مجلس رسول الله ﷺ يوم القيامة وذلك لحسن أخلاقهم مع الناس والفهم لهم فرسول الله ﷺ يقول: ﴿ إن أحبكم إلي

(١) مسند الإمام أحمد، ٣٧/ ٤٤٥، ط. مؤسسة الرسالة.

(٢) مسند الإمام أحمد، ٣٧/ ٤٤٥، ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢/ ١٥٧، ط. دار المعرفة، بيروت.

أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون ﴾(١).

فالشاكرون لنعم الله ﷻ من صفاتهم الألف والمحبة وهذه من أبرز صفاتهم وخصالهم.

رابعًا: الصدق:

والصدق من الأخلاق الحميدة التي تحلى بها خيار عباد الله ﷻ أنبياء ومرسلين وصالحين، والشاكرون من عباد الله الصالحين تحلو بهذه الصفة التي تعد من أبرز صفاتهم وكرائم أخلاقهم، ولا ريب أن الصدق من الصفات التي تجعل العبد من الرابحين في الدنيا والآخرة، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر)(٢).

والصدق من صفات الشاكرين لأن الصادق غالبًا ما تراه في طاعة من أداء فريضة أو نافلة فقد قال إبراهيم الخواص: (الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه)(٣).

والمتأمل في حال هؤلاء الشاكرين يجد أنهم تحلوا بالصدق مع الله ﷻ ومع الناس، ومع أنفسهم، صدقوا مع الله ﷻ فالتزموا بمنهجه عقيدة وشريعة وسلوكًا وفكر فتجسدوا أركان الإيمان كما ينبغي فآمنوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، كما أنهم أدوا بشكر نعمة الله تعالى بالقول والعمل وأطعموا الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرا وكل ذلك ابتغاء مرضات الله تعالى، وآتوا المال على حبه ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب كل هذا التزامًا بالصدق مع ربهم وليكونوا من الشاكرين لنعمه، ولما كان الشاكرون يتحلون بالصدق مع ربهم، ليكونوا

---

(١) المعجم الصغير، للطبراني، باب: من اسمه محمد، ٢/ ٨٩، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ٤/ ٣٨٧.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٢٦٥، ط. الثالثة، ١٤١٦هت، الناشر: دار الكتاب العربي.

من الشاكرين لنعمه بالعمل، وحتى لا يكون إيمانهم دعوى بلا حقيقة وشكرهم قول بلا عمل لذا قال الله ﷻ في شأن هؤلاء الشاكرين: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(١).

يقول سيد قطب في شان هؤلاء: (أولئك الذين صدقوا ربهم في إسلامهم وصدقوا في إيمانهم واعتقادهم، صدقوا في ترجمة هذا الإيمان والاعتقاد إلى مدلولاته الواقعة في الحياة أولئك هم المتقون الذين يخشون ربهم ويتصلون به، ويؤدون واجبهم له في حساسية وإشفاق)(٢).

وبهذا يتجلى لأي باحث في شأن الشاكرين وسيتضح له أنهم يتحلون بالصدق مع ربهم ومع أنفسهم ومع الناس.

خامسًا: الوفـاء:

من صفات الشاكرين لنعم الله ﷻ الوفاء وهو في الحقيقة من الأخلاق الكريمة، والصفات النبيلة التي يتحلى بها الشاكرون، ويعد الوفاء من الأسس الأساسية لبناء أي مجتمع يقوم على المنهاج الرباني كما يعد مظهر من مظاهر الاستقامة لمن تحلى به، وأوفى الناس أهل الشاكر، فتراهم يقومون بشكر ربهم على نعمته، فيعبدونه وحده لا شريك له، كما أنهم يلزمون أنفسهم ما استطاعوا بمنهاج الله ﷻ رجاء رضاه في الدنيا والآخرة، وأملًا في دخول الجنة، فيقومون بشكر الله على نعمه رجاء المزيد، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ١٦٢، مرجع سابق.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية (٧).

كما أن الشاكرين لنعم الله ﷻ يحرصون على أن يتحلوا بهذه الصفة من باب الوفاء مع ربهم حتى يوفي الله معهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(١).

وأوفى الناس مع الله ﷻ ومع الناس سيدنا محمد ﷺ فقد كان يقوم الليل حتى ترم قدماه، وحين سألته عائشة عن ذلك أجابها بقوله: ﴿أفلا أكون عبدًا شكورًا﴾(٢).

ونبينا محمد ﷺ كان وفيًا مع من نصره لإبلاغ رسالة ربه، فقد منع المطعم بن عدي المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ في مواقف كثيرة قبل الهجرة، فحفظ له رسول الله ﷺ ذلك، لذا قال رسول الله ﷺ في شأن المطعم بن عدي وهو يتحدث عن شان مشركي مكة الذين لقوه في بدر: ﴿لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتى لتركتهم﴾(٣).

فمن باب الوفاء من رسول الله ﷺ لمطعم بن عدي ولو كان مطعم حيًا وسأل رسول الله ﷺ إطلاق سراح أسرى بدر لتركهم رسول الله ﷺ لمطعم من باب الوفاء، لأن مطعم بن عدي نافح ودافع عن رسول الله ﷺ.

ولننظر إلى وفاء رسول الله ﷺ لما قدمه أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ أمر الرسول ﷺ ألا تبقى خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر فقال رسول الله ﷺ: ﴿إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ولا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر﴾(٤).

ولننظر إلى وفاء النبي ﷺ لخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها في الحديث الذي دار بينه وبين عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أحسن الثناء عليها فقلت ما تذكر منها وقد أبدلك الله بها خيرًا؟ قال: ﴿ما ابدلني الله بها خيرًا منها صدقتني إذ كذبني الناس،

(١) سورة البقرة، من الآية (٤٠).

(٢) مسند الإمام أحمد، ٤١/ ٣٤١.

(٣) مصنف عبد الرازق، للصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، باب: قتل أهل الشرك وفداء الأسرى، ٥/ ٢٠٨، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ، الناشر: المجلس العلمي.

(٤) موطأ الإمام مالك، باب: فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، ص ٣٣٣، ط. الثانية، الناشر: المكتبة العلمية.

وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها ﴾(١).

والإمام أحمد ﷺ الذي تعلم الكثير من العلوم على يد الإمام الشافعي، كان يتحلى بصفة الوفاء للإمام الشافعي حتى بعد مماته، وهذا ما ينبغي أن يتحلى به طالب العلم مع شيخه ويتحدث الفضيل بن زياد عن ذلك فيقول: (سمعت أحمد بن حنبل "يقول" هذا الذي ترونه كله ـ أي من علم ـ أو عامته من الشافعي وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا ادعو الله للشافعي واستغفر له)(٢).

فالشاكرون لنعم الله ﷻ من شيمهم الوفاء وتلك الصفة عرفوا بها وما دفعهم إلى التحلي بهذه الصفة إلا شكرهم لنعم الله ﷻ.

سادسًا: الاعتراف بالفضل لأهل الفضل:

والاعتراف بالفضل لأهل الفضل من مكارم الأخلاق، وهو من الدلائل على سلامة القلب، وطيب المعدن، والشاكرون لنعم الله ﷻ من صفاتهم البارزة الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، وهذا انقياد منهم لأمر الله ﷻ وبعدًا عما نهى الله ﷻ فقد قال الحق ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(٣).

ففي هذا البيان الرباني تنبيه على عدم نسيان فضل أهل الفضل، وإحسان المحسن بل ينبغي شكر المتفضل وإحسان المحسن، ولاشك أن شكر المتفضل والمحسن من شكر الله ﷻ ومن أشكر لله من رسول الله ﷺ؟

فتأمل كيف يعترف بالفضل لأهل الفضل؟ لنقتدي به في حياتنا، فيقول ﷺ في شأن أبي بكر ﷺ: ﴿ وأين لي مثل أبي بكر كذبني الناس وصدقني، وآمن بي وكفر بي الناس، وزوجني ابنته، وجهزني بماله وجاهد معي في ساعة العسرة وليلة العسرة ﴾(٤).

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني، باب: مناقب خديجة رضي الله عنها، ٢٣/ ١٣، ط. الثانية، دار النشر: مكتبة ابن تيمية.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ٩/ ١٩٨، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) سورة البقرة، من الآية (٢٣٧).

(٤) الإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري، باب: ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين =

فرسول الله ﷺ يحثنا على الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، وكان هذا الحث من رسول الله ﷺ بالقول والعمل، فبالبيان العملي، حينما اقترض رسول الله ﷺ من عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي قرضًا قبل غزوة حنين رده إليه بعد الغزوة وقال له: ﴿ بارك الله لك في مالك إنما جزاء السلف الوفاء والحمد ﴾(١).

وأما البيان القولي فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿ من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه ﴾(٢).

ولقد وضح العلماء كيف نشكر أهل الفضل على فضلهم، وكيف نعرف فضلهم ومن بين هؤلاء العلماء (أبو حاتم بن حيان) حيث يقول: (الواجب على المرء أن يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته، إن قدر فبالضعف وإلا فبالمثل، وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده مع بذل الجزاء له بالشكر، وقوله جزاك الله خيرًا)(٣).

وهذا ما فعله الرجل الصالح مع سيدنا موسى حين سقى سيدنا موسى لابنتيه أن كافأه على فعله بعد أن أرسل إليه ابنته تدعوه وتقول له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾(٤).

فالاعتراف بالفضل لأهل الفضل من صفات الشاكرين لنعم رب العالمين، ولا ريب أن لهذه الصفة (منزلة جليلة لما يعود منها من خير على المجتمع بأسره حيث يؤدي ذلك إلى استقرار المجتمع وتآلف أفراده وتشجيع ذوي الفضل أن يستمروا في تفضلهم الذي يلقى الاعتراف من الآخرين)(٥).

= أفضل من أبي بكر ﷺ، رقم الحديث: ٢٣٨، الناشر: دار الراية، الرياض.

(١) مسند الإمام أحمد، ٢٦/ ٣٣٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد، ١٠/ ٢٦٧.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ١/ ٢٦٦، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٤) سورة القصص، من الآية (٢٥).

(٥) نضرة النعيم، إعداد: مجموعة من العلماء المتخصصين، ٢/ ٣٩٨.

فاعتراف التلميذ بفضل أستاذه يزيد من المودة بينهما بل يمنح الأستاذ تلميذه الكثير من الدلائل التي ترشد التلميذ إلى مفاتيح مغاليق أبواب العلم، وإذا اعترف الزوج بفضل زوجته، وإعدادها لطعامه وشرابه، وطعام أولاده وغسلها لثيابه وثياب أولاده، ونظافتها للبيت سيدفعها هذا كله إلى بذل المزيد من العطاء، ولو اعترفت الزوجة بفضل زوجها لكده وتعبه وسعيه على طلب المعيشة والرزق فلاشك أن هذا سيدفعه إلى التضحية وبذل المزيد وتحمل المشاق والمتاعب، واعتراف كل طرف من الزوجين بفضل الآخر عليه يجعل الأسرة تعيش في ألفة ومحبة وترابط، وكذلك إذا اعترف أفراد المجتمع لأهل الفضل بفضلهم هذا سيدفع أهل الفضل إلى بذل المزيد من إحسانهم وهذا لا ريب من العوامل التي تؤدي إلى ترابط المجتمع وتماسكه.

❁ ❁ ❁

المبحث السادس
نماذج من الجاحدين والشاكرين
لنعم رب العالمين

أولًا: نماذج من الجاحدين لنعم رب العالمين.

ثانيًا: نماذج من الشاكرين لنعم رب العالمين.

المبحث السادس
نماذج من الجاحدين والشاكرين لنعم رب العالمين

الناس يختلفون في طبائعهم، ويتفاوتون في قواهم الإيمانية، ولذا تراهم ليسوا على منهج واحد في معاملاتهم، ولا في قوتهم الإيمانية، فالقوة الإيمانية، تتفاوت من إنسان لآخر، وكذلك الناس يتفاوتون في شكرهم لنعم ربهم، بل من الناس من هو لنعم ربه من الجاحدين، ومنهم من هو لنعم ربه من الشاكرين، ومن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، نورد بعضًا من هذه النماذج، حتى يتضح تفاوت الناس في موقفهم من نعم ربهم ﷻ.

أولًا: نماذج من الجاحدين لنعم رب العالمين في ضوء القرآن والسنة:

المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية سيجد العديد من نماذج الجاحدين لنعم رب العالمين، ومن بين هذه النماذج ما يلي:

١ ـ نماذج من الجاحدين لنعم رب العالمين في ضوء القرآن الكريم:

أ ـ جحود قارون لنعم رب العالمين:

ومن بين هؤلاء الجاحدين لنعم رب العالمين قارون، فقد أعطاه الله من النعم الكثير، ومن بين هذه النعم وأبرزها ـ عند الناس ـ نعمة المال، فقد بلغ هذا المال كثرته، فكانت مفاتح خزائنه (يحملها أربعون رجلًا)، وقيل: (ستون رجلًا) وحينما كانت تحمل على

ناقلة كانت تحمل على (ستين بغلًا)[1].

وتلك النعم بخزائنها كانت ينبغي أن تقابل من قبل قارون بالشكر القولي والفعلي للمنعم ﷻ والتواضع لخلق الله تعالى، ولكن كل ذلك لم يكن، بل بغي على قومه (بالكبر والاستطالة لما غلب عليه الحرص ومحبة الدنيا)[2].

بل إن قارون فرح فرحًا شديدًا (بزخارف الدنيا... "فشغله"... عن الشكر)[3].

وهذا ما أكده قول أصحاب كتاب قصص القرآن حيث قالوا: (كان قارون ذا حظ عظيم فقد فاضت خزائنه بالأموال، واكتظت صناديقه بها، حتى ضاق الحفظة ذرعًا بمفاتيحها، وأثقلهم حملها، وناء بالعصبة أولو القوة بها، وكان يعيش بين قومه عيشة البذخ والترف، فكان يلبس الملابس الفاخرة، ولا يخرج على قومه إلا في زينته، ويسكن القصور، ويصطفى لنفسه الخدم ويستكثر من العبيد والحشم، ويستمتع من الحياة بما يشبع نهمه ويروي ظمأه، ويريد أن يصل إلى غاية النعيم إن كانت للنعيم غاية)[4].

فنصحه أهل الإيمان والصلاح من قومه بعدة نصائح فقالوا له: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾[5] (المتبذخين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم)[6].

ثم توالوا في نصحهم له قائلين: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٩/ ٦١٨، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل، ٧/ ٥٣٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) المصدر السابق، ٧/ ٥٣٦.

(٤) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص ١٦٨، ط. مكتبة دار التراث.

(٥) سورة القصص، من الآية (٧٦).

(٦) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي، تحقيق: محمد عبد السلام، ١/ ٥٣١، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ط. دار الفكر الإسلامي الحديثة.

نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾(١).

ولكن (قارون قد أشرب قلبه حب المال، وزاده الغنى علوًا واستكبارًا فليس لمثل هذا الكلام سبيل إلى نفسه... من هؤلاء الذين يشيرون عليه فيأتمر؟ وتتطاول أعناقهم إلى نصحه فينتصح، إنهم لا شك قد استباحوا حماه ووضعوا أصابعهم فيما لا يعنيهم من أمره، بل إن هذا من أموره الخاصة)(٢).

ولكن قارون لم يسمع لنصح أهل الإيمان والصلاح من قومه ولم يستجب لهم، وجحد نعمة ربه ولم يسد النعمة للمنعم، ولم يشكر نعمة الله ﷻ وتفاخر وتبطر، وأسند تلك النعمة لذكائه، وحسن تدبيره وإتقانه لتجارته فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾(٣)، (أي بطرق التجارة والمكاسب)(٤).

فقارون كان جافيًا في رده على ناصحيه: (إذ قال لست في حاجة إلى نصحكم، فأنا أرجحكم عقلًا، وأسداكم رأيًا، وما أوتيت هذا المال إلا لأني به أجدر وأحق، فاحتفظوا بنصحكم لأنفسكم وقوموا بها أموركم، أما أنا فخير منكم مقامًا وأكثر عرفانًا "بل إنه" أراد أن يزيدهم في إيلامهم فخرج على قومه في زينته "ليبين لهم ما عنده من خير كثير" ومال وفير، ورآه المستضعفون من قومه يرفل في الثياب الجميلة، ويركب المراكب... وحوله الخدم... وهم في ضنك وبؤس مقيم، "فقالوا" يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم)(٥).

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ

(٤) سورة القصص، الآية (٧٧).

(٢) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص ١٧٠، ١٧١.

(٣) سورة القصص، من الآية (٧٨).

(٤) محاسن التأويل، محمد جمال لدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون، ٧/ ٥٣٧، ط. الأولى، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص ١٧١.

أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾(١).

ولم يتوقف قارون في جحدوه لنعم ربه على رد نصح الناصحين من قومه من أهل الإيمان والصلاح والتقوى، بل إنه لم يستجب لنصح نبي الله موسى عليه السلام له فقد (طلب موسى عليه السلام من قارون إخراج زكاة ماله وأن يحسن إلى الفقراء ففي ماله حق للسائل والمحروم، ولكن قارون كان قد طبع على قلبه، وران عليه شحه، فلم يصغ إلى دعوة موسى بل هزئ به وسخر، ورماه بالبهتان، ورد حديثه في عنف وسخرية فقال "لموسى عليه السلام" قد احتملنا منك ما احتملنا فقد جئتنا بدين جديد، فجاريناك فيه، وأمرتنا بكذا فاستمعنا لأمرك، فأطمعك هذا فينا وجرأك علينا، فلم يبق إلا المال تسلبه، والثروة تريد أن تستحوذ عليها)(٢).

ويلاحظ أن قارون كفر بنعمة ربه ولم يؤد شكرها لا قولًا ولا فعلًا، فلم يسد النعمة للمنعم ولم يثن عليه، بل أسندها لذكائه وحسن تدبيره وتصرفه، كما أنه رفض أن يأتمر بأمر موسى عليه السلام فلم يؤدي زكاة ماله وتكبر وتجبر وتآمر على موسى عليه السلام وكأنه لم يعلم (حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده عُلِّمهُ... فاستحق ما أوتي من الكنوز "ونسي قارون" أن الله أهلك من الأمم من هو أشد منه بطشًا وأكثر جمعًا للأموال، ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه، لم يهلك ما أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالًا لأن من كان الله عليه راضيًا فمحال أن يهلكه وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساخطًا)(٣).

ويقول ابن كثير: (فلما عتا الخبيث ـ قارون ـ وتمادى في غيه، وبطر نعمة ربه، ابتلاه الله عز وجل من الفريضة في ماله والحق الذي ألزمه فيه ما ساقه إليه شحه به أليم عقابه، وصار

(١) سورة القصص، الآية (٧٩).

(٢) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص ١٧١، ١٧٢.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ١٩/ ٦٢٦.

به عبرة للغابرين وعظة للباقين)[1].

لقد أهلك الله قارون لكفره وجحوده لنعمة ربه ﷻ وبطر نعمة المنعم، فخسف به وبداره الأرض، فأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يتعجبون لما حدث لقارون، فحمدوا الله ﷻ على منة الله ونعمه عليهم فقالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾[2]، فأهلك الله قارون لكفره وجحوده لنعم رب العالمين.

ب ـ جحود أهل سبأ لنعم رب العالمين:

وأهل سبأ كانوا ممن أنعم الله عليهم بنعمه الوفيرة، حيث عاشوا زمنًا طويلًا في رغد من العيش والنعمة والأمن الغذائي والنفسي، وأمرهم ربهم أن يأكلوا من رزقه وأن يشكروا له.

يقول ابن كثير عن أهل سبأ: (كانوا في نعمة "عظيمة"، وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وثمارهم فبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه وأن يشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد)[3].

والحقيقة أن النعم التي أنعم الله بها على أهل سبأ بينة واضحة، وتنطق بأنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم بتلك النعم التي كانوا فيها، وهذه النعم بلغ شأنها وأمرها أن الإنسان من أهل سبأ يخرج فيدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه، فيخرج حين يخرج وقد امتلأت القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئًا بيده[4].

يقول سيدنا قتادة عن النعيم الذي كان يعيش فيه أهل سبأ وعن جنتيهم: (كانت لهم جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج ومكتلها على رأسها فتمشي بين جبلين فيمتلأ

(١) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، ١/ ٤٤٧، ط. الثانية، ١٣٧٨هـ، الناشر: دار التراث، بيروت.

(٢) سورة القصص، من الآية (٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٥٣٠، ط. دار التراث.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ١٩/ ٢٤٧، الناشر: دار الهجرة للطباعة، ٢٠٠١م.

مكتلها وما مست بيدها "فاكهة" فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها "جرذ" فنقبت عليهم "فأغرقتهم" فما بقي إلا أثل وشيء من سدر قليل)[1].

فالله ﷻ ينعم على عباده في أي زمان ومكان بالنعم ليعلموا أن الله خالقهم ورازقهم، وهو المنعم المتفضل عليهم، فعليهم أن يشكروه على نعمه شكرًا فعليًا وقوليًا بتوحيده وعبادته والسير على منهجه حتى يحفظ الله عليهم تلك النعم فإن أعرضوا فهذا الإعراض يكون سببًا في زوال تلك النعم، ولا ريب أن الله ذكر العديد من هذه النماذج للجاحدين لنعم رب العالمين، من بينها أصحاب الجنة في سورة القلم، وصاحب الجنتين في سورة الكهف، والقرية التي كانت آمنة مطمئنة فكفرت بأنعم الله التي تحدثت عنها سورة النحل، حتى يعتبر الناس، وتعتبر المجتمعات، فلا يقعوا فيما وقع فيه هؤلاء من جحود لنعم ربهم، فيكون هذا الجحود سببًا في زوال نعم ربهم عنهم فأهل سبأ حين أعرضوا عن الحق وكفروا وكذبوا أنبياءهم ولم يشكروا نعمة الله... وقالوا لا نعرف لله نعمة علينا... وقالوا لأنبيائهم قولوا لربكم الذي تزعمون أنه منعم فليحجب عنا نعمه إن استطاع[2].

لهذا كان على أهل الإيمان أن يعتبروا، وأن يصبروا على طاعة ربهم، والبعد عن مخالفة منهجه، وأن يشكروا نعمة ربهم.

٢ ـ نموذج من السنة النبوية للجاحدين لنعم رب العالمين:

ولم تغفل السنة النبوية أمر الجاحدين لنعم رب العالمين بل تحدثت عنهم وأشارت إليهم لتبين كيفية الجحود، وأثر الجحود على الجاحدين لنعم رب العالمين، قال رسول الله ﷺ: ﴿ إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله ﷻ أن يبتليهم فبعث الله إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال لون حسنًا، فقال أي المال

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ٢٠/ ٣٧٦، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير البغوي، للإمام/ البغوي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ٣/ ٦٧٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ.

أحب إليك، قال: الإبل، فأعطي ناقة عشراء، فقال يبارك لك فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال فمسحه فذهب، وأعطي شعرًا حسنًا، قال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملًا، وقال يبارك لك فيها، وأتى العمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والد فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم، ثم إنه أتى الأبرص في هيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا صيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى العمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليكم بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرًا فأغناني، فخذا ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك﴾(١)

ولك أن تتأمل وتتصور كيف كان حال هؤلاء ـ الأقرع والأبرص والأعمى ـ من فقر ونفور الناس من الأقرع والأبرص ومدى العجز البصري الذي كان يعانيه الأعمى، ثم انظر كيف أغناهم الله ﷻ بعد فقر وشفاهم بعد مرض، ثم سلب الله نعمته من الجاحدين وأبقها على الشاكر، وهذه النعمة ستكون في طريقها إلى الزيادة كما وعد ربنا ﷻ.

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ٤/ ٢٢٧٥، حديث رقم: ٢٩٦٤، ط. دار إحياء التراث العربي.

ثانيًا: نماذج من الشاكرين لنعم رب العالمين في ضوء القرآن والسنة:

من يطالع القرآن الكريم والسنة النبوية سيجد نماذج للشاكرين لنعم رب العالمين، ليقتفي أهل الإيمان والصلاح والتقوى أثرهم، وها هي بعض النماذج من القرآن والسنة للشاكرين لنعم رب العلمين.

أ ـ نماذج من الشاكرين لنعم رب العالمين في ضوء القرآن الكريم:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الشكر والشاكرين، وذكر بعض النماذج من الشاكرين، ليقتدي بهم أهل الإيمان والتقوى والصلاح ومن بين هذه النماذج ما يلي:

١ ـ نبي الله داود وسليمان عليهما السلام.

٢ ـ سيدنا محمد ﷺ.

ولبيان نماذج من الشاكرين في ضوء القرآن الكريم نتحدث عن هذين النموذجين:

١ ـ نبي الله داود وسليمان عليهما السلام:

ومن الشاكرين لنعم ربهم ﷻ نبي الله داود وسليمان عليهما السلام فقد أنعم الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام بنعم كثيرة منها أنه تعالى ألان له الحديد ليأكل من عمل يده، فكان يعمل الدروع المسرودة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾(١).

يقول الإمام/ السدي(٢): (كان الحديد في يديه كالطين المبلول والعجين والشمع

(١) سورة سبأ، الآية (١٠).

(٢) السدي هو: أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، رأى الحسن بن علي ابن أبي طالب، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبا سعيد الخدري، وأبا هريرة، ولم يروا عنهم، وهو إمام مفسر، قال عنه النسائي: صالح الحديث ووثقه الإمام/ أحمد بن حنبل، توفى سنة ١٢٧هـ، وهو تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة وكان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيام الناس والمغازي والسير، روي عن أنس بن مالك وأدرك جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عباس، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري وحدث عنه الثوري، راجع: الأعلام، للزركلي، ١/ ٣١٧، وقبول الأخبار ومعرفة الرجال، لأبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، المحقق: أبو عمر الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، ١/ ٢٠٣، ط. الأولى، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، والمعجم الصغير لرواة الإمام/ ابن جرير الطبري، لأكرم =

يصرفه كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة)(١).

ويقول ابن كثير: (يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبده داود عليه السلام مما أتاه من الفضل المبين وجمع بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي العدد والعدة وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح تسبح معه الجبال الراسيات والصم الشامخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات)(٢).

فشكر داود ربه على هذه النعمة فاستعملها فيما أمره به ربه تعالى وفي المباح وهذا من تمام شكر النعمة، كما أنعم الله على داود بصوت حسن يضرب به المثل في الحسن فاستخدمه في ذكر الله ﷻ وترديد المزامير والدعوة إلى الله تعالى، فلما وجد الله تعالى نبيه داود شاكر زاده من النعم، فمنحه من القوة والنصر على أعدائه فنصره الله تعالى على جميع مبغضيه ومناوئته فمكث دهرًا طويلًا لا يقوم له معارض إلا غلبه(٣).

وشكر داود ربه على تلك النعمة فاستخدمها في نصرة الحق وحماية الدعوة، كما وهب الله داود وسليمان عليهما السلام وعلمهما منطق الطير وأتاه الملك والنبوة ـ كما أعطاهما لأبيه من قبل ـ، وحشر الله تعالى لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، فلما رأى سليمان كل هذه النعم التي أنعم الله بها عليه وعلى والده ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾(٤).

٢ ـ سيدنا محمد ﷺ:

لقد من الله على نبيه محمد ﷺ بنعم كثيرة لا تحصى ولا تعد، فكان سيد الأولين والآخرين سيد الحامدين والشاكرين لرب العالمين، بأن هناك نعمة خص الله بها نبيه

= بن محمد زيادة، ٢/ ٨٢٣، الناشر: الدار الأثرية، الأردن.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام/ القرطبي، ١٤/ ٢٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٥٢٦.

(٣) راجع: قصص الأنبياء، د/ عبد الوهاب النجار، ص ٣٦٩، ط. الثانية، دار التراث.

(٤) سورة النمل، من الآية (١٩).

محمد ﷺ حيث ختم الله به النبيين والمرسلين وفضله على الخلق أجمعين، وجعل رسالته خاتمة للرسالات الإلهية، وجعل شريعته التي خصه الله بها خاتمة للشرائع الإلهية، كما أنه أرسله للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(١).

كما أنعم لله على نبيه ﷺ بالسبع الثماني والقرن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٢).

وحفظهما بحفظه إلى يوم القيامة، وتوالت نعم الله على رسوله ﷺ فخصه بالشفاعة فهو أول شافع وأول مشفع، وصاحب الكوثر، ولهذه النعم وغيرها الكثير كان نبينا ﷺ سيد الذاكرين والشاكرين والحامدين فكان لسانه لا يفتر عن ذكر الله وشكره فكان لربه ﷻ ذكارًا شكارًا فكان ينفق ولا يخش من ذي العرش إقلالا، وكان يجهد نفسه في القيام بالليل من باب شكر نعمة الله ـ جل وعلا ـ عليه فكان يقوم الليل حتى ترم قدماه فتقول له زوجته السيد عائشة رضي الله عنها هون على نفسك يا رسول الله فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال لها ﴿ يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكروًا ﴾(٣).

فكان يقوم الليل شاكرًا لربه حتى تتفطر قدماه الشريفتان، فلم يفتر النبي ﷺ عن شكر نعم ربه فما أشرقت عليه شمس ولا غربت إلا وكان لنعم ربه شاكرًا، فكان يقول حين يمسي وحين يصبح: ﴿ اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ﴾(٤).

كما كان ﷺ لا تنزل به نعمة إلا قابلها بالصلاة أو السجود أو غير ذلك من أوجه الشكر والحمد، فعن أبي بكرة نقيع بن الحارث رضي الله عنه أن النبي ﷺ: ﴿ إذا جاءه أمر سرور أو

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(٢) سورة الحجر، الآية (٨٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين، ١٨ـ باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ٤/ ٢١٧٢، حديث رقم: ٢٨٢٠.

(٤) سبق تخريجه ص ٨.

بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله ﴾(١).

وعن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال له: ﴿ إن جبريل أتاني فبشرني فقال: إن الله ﷻ يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت شاكرًا لله ﴾(٢).

ب ـ نماذج من الشاكرين في ضوء السنة النبوية:

زخرت كتب السنة النبوية بالحديث عن الشاكرين لنعم رب العالمين، ويمكن ذكر بعضًا من تلك النماذج للاستفادة بها ومن هذه النماذج ما يلي:

١ ـ المتصدق على زانية وغني وسارق:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية، قال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، قال اللهم لك الحمد على غني، لأتصدقن بصدقة، فخرج فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال اللهم لك الحمد على زانية، وعلى غني وعلى سارق، فأتي فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته ﴾(٣).

يوقن أهل الإيمان والتقوى أن الإيمان ليس كلمة تتردد باللسان، بل لابد لها من شاهد على صدقها، ودلائل على صحة تلك الدعوة لمدعيها، هذا الرجل من أهل الإيمان سارع في فعل الخيرات والعمل الصالح، فأخذوا يتحدثون على أنه تصدق على

(١) سنن أبي داود ١٥ـ كتاب: الجهاد، باب: سجود الشكر، ٣/ ٨٩، حديث رقم: ٢٧٧٤، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) مسند الإمام أحمد، ٣/ ٢٠١، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب: الزكاة، باب: ثبوت أجر المتصدق، ٢/ ٧٠٩ن حديث رقم: ١٠٢٢.

زانية، ولما كان هذا الرجل خرج بصدقته لوجه الله تعالى، حمد الله تعالى على زانية، ولم يثنيه هذا عن عمل الخير، فخرج مواصلًا عمله الخيري، فتصدق فوقعت صدقته في يد غني، فعاد المثبطون مرة أخرى يحاولون أن يثنوه عن عمله الخيري، وأن يزينون له أن ما يفعله ما هو إلا تبديد لثروته، وتضييع لماله، ولكن هذا الرجل المتصدق حمد الله على غني، وعاد المثبطون مرة أخرى لدأبهم، ولكن القوة الإيمانية تجعل الرجل يتغلب على كيد هؤلاء المثبطين، فخرج ليواصل عمله الخيري، ليقوم بالشكر الفعلي لنعم الله ﷻ فيتصدق فتقع صدقته في يد سارق، فأراد المثبطون أن يزينوا أنه لا طائل من وراء عمله ليحسروه على عمله وفعله الخيري، ولكن الله ﷻ أراد أن يبين أن العمل خالصًا لوجهه تعالى، وأن شكر العبد لنعم ربه لن يضع أبدًا، بل كل هذا يعود على المتصدق والمجتمع بالمنفعة، فتلك الصدقة كانت وراء إقلاع الزانية عن الزنا، لأن الصدقة سدت حاجتها، فهذه الزانية ما دعاها إلى الزنا إلا شدة الحاجة، بل حتى في حالة وقوع صدقة هذا المتصدق في يد غني عاد نفع هذه الصدقة على الفرد والمجتمع حيث دفعت تلك الصدقة الغني إلى المسارعة في عمل الخير والتصدق، فزاد عدد المتصدقين بصدقة هذا الرجل، كما أن صدقة المتصدق حينما وقعت في يد سارق جعلته يكف عن السرقة، فكانت تلك الصدقة وراء توبة السارق لأنه ما سرق إلا لشدة الحاجة فقل عدد السارقين والمجرمين، فعاد نفع هذه الصدقة بالنفع على المجتمع كما عاد على المتصدق.

٢ ـ صاحب الحديقة:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حَرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟، قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟، فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه، يقول: اسق حديقة فلان ـ لاسمك ـ، فما تصنع فيها؟، قال: أما إذ قلت هذا، فإني

أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه ﴾(١).

قد يبدو لبعض الناظرين إلى ظواهر الأمور أن يد الخير المبذولة إلى الفقراء، والعطوفة على المساكين، ما هي إلا صورة من تبديد الثروات، وتضييع المدخرات، وسبب في نقص رؤوس الأموال، تلك نظرة المقاييس المادية المحضة، وأن هذا في الحقيقة هو من باب شكر النعمة لله ﷻ، بل يسمى هذا في الإسلام الشكر الفعلي للنعمة فالإنفاق وسيلة لنماء المال وحلول البركة فيه، كحال من يبذر الحبة في الأرض، سرعان ما تنمو وتكبر حتى تصبح شجرة باسقة، يانعة مثمرة، ولا يزال لطف الله بأوليائه وعباده المستبقين إلى الخيرات، يصرف عنهم البلاء، ويوسع عليهم الأرزاق، ويسوق إليهم الخيرات، ويحظون بتوفيق الله وبنعمته ومن كان في كنف الإله ورعايته فأنى له أن يضيع؟ وشاهد الصدق على الحديث الذي بين أيدينا، والذي يُخبر عن مزارع صالح، برزت فيه صفات الكرم وجوانب السخاء في وقت عزت فيه معاني الجود، ليقهر الطبيعة البشرية القائمة على الشح والإمساك ويتخطاها في سمو إيماني رفيع، فهذا الرجل يسير في الصحراء، حيث يندر الماء ويقل الزرع، وبينما هو كذلك إذ سمع صوتًا يقول: ﴿ اسق حديقة فلان بن فلان! ﴾، فتعجب الرجل لما سمعه، فالأرض خالية من البشر، ثم أدرك أن الصوت صادرٌ من السحابة التي تعلوه، فازداد عجبًا وإصرارًا على استكشاف السبب، وانطلق الرجل خلف السحابة ليعرف مستقرها، حتى وقفت فوق أرض تكثر عليها الحجارة السوداء، يُقال عنها: (الحرة)، ثم نزل المطر بغزارة، وجرى الماء حتى انتهى إلى حديقة، وفيها فلاح قائم، يوزع الماء ويوجهه، اتجه الرجل إلى الفلاح وسأله عن اسمه، فكان ذات الاسم الذي سمعه في السحابة، وكان من الطبيعي أن يستغرب صاحب الحديقة من السؤال فبادره قائلًا: (يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟)، فقص عليه الرجل ما سمعه ورآه من شأن السحابة، ثم بين له عظيم شوقه لمعرفة سر التوفيق الإلهي والعناية الربانية التي حظى بها وتأتي الإجابة لتظهر الحقيقة وتكشف الغموض، فالحال

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزهد، باب: الصدقة في المساكين، ٤/ ٢٢٨٨، حديث رقم: ٢٩٨٤.

أن صاحب الحديقة كان ينظر إلى حصاد مزرعته فيقسمه ثلاثة أجزاء: جزء يتصدق به على الفقراء والمساكين، وآخر يجعله قوتًا له ولعياله، وثالث يرده إلى الأرض.

هذا القبس من مشكاة النبوة، يأتي مبينًا فضل الصدقة وقدرها عند الله سبحانه وتعالى، كونها صورة من صور التكافل الإنساني ودليلًا على يقظة الضمير، والشعور بالواجب، والإحساس بالمسئولية نحو الآخرين، ما يزيد من لحمة المجتمع وتماسكه.

وإذا كان هذا الرجل الصالح قد نال من خير تلك السحابة وبركاتها، فتلك عاجل بشراه في الدنيا، أما في الآخرة فما أعده الله له من ألوان الكرامة أعظم وأعظم، ومن دلالات القصة أن الإنفاق على المحتاجين وتفريج كرب المسلمين هي تجارة عظمة مع الله سبحانه وتعالى لا يخسر صاحبها أبدًا، لتفضل الكريم سبحانه وتعالى على عباده المنفقين بالبركة والنماء، والخُلف في الدنيا والآخرة لشكرهم لنعم ربهم.

الخاتمـــــة

وبها أهم النتائج والتوصيات

لقد تناولت هذه الدراسة نعم الله بين الجاحدين والشاكرين من حيث بيان مفهوم النعمة في اللغة والاصطلاح، مع ذكر أبرز خصائصها، ثم بيان مفهوم الجحود في اللغة والاصطلاح وذكر أبرز أنواع الجحود وصفات الجاحدين وأثر الجحود، ثم بيان مفهوم الشكر في اللغة والاصطلاح وصفات الشاكرين وأثر الشكر مع ذكر نماذج للجاحدين والشاكرين، وقد كشف هذه الدراسة عما يلي:

١ ـ أن النعمة هي كل عطاء أو سلب يقرب من الله ﷻ.

٢ ـ النعمة كل ما فيه السعادة الدنيوية أو الأخروية أو فيهما معًا.

٣ ـ أن الله مصدر كل نعمة، وأن النعمة لا تحصى ولا تعد سواء كانت ظاهرة أو باطنة.

٤ ـ أن الجحود هو إنكار فضل المتفضل ونعمة المنعم مع العلم واليقين بأنها منه.

٥ ـ قطع البحث أن هناك فرق بين الجحود والنفي.

٦ ـ أن الجحود له أنواع متعددة من أبزرها جحود الإنسان لنعم ربه، وجحود الإنسان لفضل رسول الله ﷺ.

٧ ـ عدم معاونة الرعية للراعي في كل ما يحقق مصالح البلاد والعباد يعد جحود من الرعية لحقوق الراعي.

٨ ـ عدم تحقيق الراعي لمصالح البلاد والعباد من الأمن الاجتماعي والسياسي والغذائي ونهضة المجتمع في الجوانب الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية يعد جحودًا من الراعي لحق الرعية.

٩ ـ عدم الإقرار لأهل الفضل والاعتراف بفضلهم يعد جحودًا.

١٠ ـ أن اعتراف طالب العلم لشيخه بفضله يدفع الشيخ إلى إرشاد تلميذه إلى الدلائل التي تقوده إلى مفاتيح مغاليق أبواب العلم.

١١ـ عدم اهتمام المرأة بشأن زوجها وشئون بيتها يعد جحودًا لحق زوجها.

١٢ـ عدم اهتمام الزوج بشأن زوجته يعد جحودًا لحق زوجته.

١٣ـ يعد الكبر والغرور والشح والكذب والظلم من أبرز صفات الجاحدين.

١٤ـ أن الجحود لنعمة الله ﷻ من أقوى الأسباب في تبديلها وزوالها.

١٥ـ كشف البحث أن حقيقة الشكر تتمثل في عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته واللسان بذكره والثناء عليه.

١٦ـ أثبت البحث أن هناك فرق بين الحمد والشكر وأن الشكر أعم من الحمد.

١٧ـ أن الشكر من أقوى الأسباب في دوام النعمة ورفع العذاب والعقاب.

١٨ـ أثبت البحث أن القناعة والرضا والكرم والجود والألفة والصدق والوفاء.

والاعتراف بالفضل لأهل الفضل من صفات الشاكرين لنعم رب العالمين.

التوصيـــات:

١ ـ ينبغي على الباحثين الإكثار من بحوث الرقائق ونشرها حتى يؤثروا في الواقع الاجتماعي الذي سيطرة عليه المادية.

٢ ـ على الدعاة والباحثين البحث في بيان أسباب سيطرة المادية على الواقع الاجتماعي.

قائمــة المصادر والمراجـــع

ـ القرآن الكريـم.

(١) الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله محمد بن حمدان العكبري، المحقق: رضا معطي، الناشر: دار الراية، الرياض.

(٢) أحاديث الشيوخ الثقات (المشيخة الكبرى)، قاضي المارستان، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ، الناشر: دار عالم الفوائد.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علي بن بلبان الأمير علاء الدين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط. الأولى، ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٥) الإعلام، للزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، ط. الخامسة.

(٦) الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة ﷺ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الناشر: دار الكتب العلمي.

(٧) أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ط. مكتبة العلوم والحكم.

(٨) البداية والنهاية، لابن كثير، مقدمة المجلد الأول، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط. دار الحديث، القاهرة.

(٩) تاج العروس، للإمام/ الزبيدي، الناشر: دار الهداية.

(١٠) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، ط. الثانية، ١٣٨٧هـ، الناشر: دار التراث، بيروت.

(١١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط. الأولى، ٢٠٠٢م، دار الغر الإسلامي، بيروت.

(١٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ط. دار الريان للتراث.

(١٣) تفسير البسيط، للواحد النيسابوري، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة محمد بن سعود.

(١٤) تفسير القرآن العظيم، بن كثير، ط. مكتبة دار التراث.

(١٥) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر التابعين تحقيق: محمد عبد السلام، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، دار الفكر الإسلامي.

(١٦) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط. الأولى، ١٣٢٦هـ، الناشر: مطبعة دار المعارف النظامية.

(١٧) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، الناشر: عالم الكتب.

(١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن نصار السعدي، ط. الأولى، مكتبة الصفا.

(١٩) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، الناشر: دار الهجرة، ٢٠٠١م.

(٢٠) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار الكتب الإسلامية.

(٢١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام/ القرطبي، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٢٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ط. دار الكتاب العربي.

(٢٣) حياة السلف بين القول والعمل، لأحمد بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي.

(٢٤) رجال صحيح مسلم، لأحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن منجويه، المحقق: عبد الله الليثي، ط. الأولى، دار المعرفة، بيروت.

(٢٥) الرقائق والآداب والأذكار، سعيد القحطاني، الناشر: مكتبة سفير،

الرياض.

(٢٦) روح المعاني، للإمام/ الألوسي، ط. دار التراث العربي، بيروت.

(٢٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ أبو حاتم الدارمي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية.

(٢٨) الزهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد أحمد الأزهري، تحقيق: مسعد عبد الحميد، الناشر: دار الطلائع.

(٢٩) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط. دار البحوث العلمية، الكويت.

(٣٠) سنن ابن ماجة، لابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

(٣١) سنن أبي داود، لأبي داود، ط. الأولى، ٢٠٠٩م، الرسالة العالمية.

(٣٢) السنن الصغرى، للإمام/ البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.

(٣٣) شرح السنة، للبغوي، للإمام/ البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٣٤) شرح صحيح الإمام مسلم، للإمام/ النووي، ط. دار الشعب.

(٣٥) شرح مذاهب أهل السنة، عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي، المعروف بابن شاهين، تحقيق: عادل محمد، ط. الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، الناشر: مؤسسة قرطبة.

(٣٦) شعب الإيمان، للإمام/ البيهقي، تحقيق: د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣٧) الشكر، لابن أبي الدنيا، ط. الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية.

(٣٨) صحيح ابن حبان، للإمام/ ابن حبان، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م،

مؤسسة الرسالة.

(٣٩) صحيح الإمام مسلم، للإمام/ مسلم، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٤٠) طبقات المفسرين، للداوودي، لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي،، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٤١) العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي،، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، وسيد مهنى، ط. أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

(٤٢) فتح القدير، للإمام/ الشوكاني، ط. الأولى، ١٤١٤هـ، دار ابن كثير.

(٤٣) في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

(٤٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط. السابعة عشر، ١٩٩٢م.

(٤٥) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ط. الخامسة، ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة.

(٤٦) قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ط. الأولى، مكتبة دار التراث.

(٤٧) الكشاف، للإمام/ الزمخشري، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، ط. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٤٨) لسان العرب، لابن منظور، ط. دار صادر.

(٤٩) المحاسبة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، المحقق: أبو عبدية، مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية، البحرين.

(٥٠) محاسن التأويل، للإمام/ القاسمي، المحقق: محمد باسل، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٥١) مدارج السالكين، لابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط. الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الناشر: دار الكتاب العربي.

(٥٢) المدخل لدراسة النظم الإسلامية، د/ سلمان سلامة عبد المالك، ط. الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، مطبعة الأمانة.

(٥٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، الناشر: دار الكتاب العربي.

(٥٤) مسند الإمام أحمد، للإمام/ أحمد بن حنبل، ط. مؤسسة الرسالة.

(٥٥) المصباح المنير، أحمد محمد علي الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

(٥٦) مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن العظمي، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ، الناشر: المجلس العلمي، الهند.

(٥٧) المعجم الصغير، للإمام/ الطبراني، المحقق: محمد شكور محمود، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩، دار الوفاء، المنصورة.

(٥٨) المعجم الكبير، للإمام/ الطبراني، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط. الثانية، دار النشر مكتبة ابن تيمية.

(٥٩) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ط. الثالثة، الناشر: مؤسسة نهويهض الثقافية.

(٦٠) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار إحياء التراث العربي، ط. المكتبة العلمية، طهران.

(٦١) معجم متن اللغة، الشيخ/ أحمد رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٦٢) معجم مقايس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر.

(٦٣) مفاتيح الغيب، للإمام/ الرازي، ط. الثالثة، ١٤٢٠هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦٤) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٦٥) موسوعة نضرة النعيم، لمجموعة من المتخصصين، ط. الثالثة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الوسيلة.

(٦٦) موطأ الإمام مالك، لأبي الحسن الشيباني، الناشر: المكتبة العلمية.

(٦٧) النظام السياسي، د/ أحمد أحمد غلوش، ط. الثانية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مؤسسة الرسالة.

(٦٨) هذا الحبيب يا محب، أبو بكر الجزائري، ط. الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار السلام.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

مقدمة ٨١٣
المبحث الأول: النعمة حقيقتها وأبرز خصائصها ٨١٧
المبحث الثاني: الجحود مفهومه وأنواعه..... ٨٢٨
المبحث الثالث: أبرز صفات الجاحدين لنعم الله عز وجل وأثر الجحود. ٨٤٣
المبحث الرابع: الشكر مفهومه وآثاره ٨٥٣
المبحث الخامس: صفات الشاكرين. ٨٦٤
المبحث السادس: نماذج من الجاحدين والشاكرين لنعم رب العالمين. ٨٧٥
الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات..... ٨٨٩
المصادر والمراجع ٨٩٠